2 me Année,No 40. Lundi-9-4-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر المالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٤٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ — ٩ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية .

فهرس العـــدد

في الحال الحاضرة !

« في الحال الحاضرة » عنوان عزيز على وعلى أخوىّ طه حسين ومحمود زناتى ! نذكره في مقام الأنس وساعة التنادر فيفجرُ الضحكَ من صدورنا المكبوتة ، ويرجع بنا مقتحما تيار الزمن الدافق الى العهود النفّاحة النضيرة من شبابنا الأول ! يرجع بنا إلى بقعة من بقاع الأزهر العتيق ، خفَتَ فيها الدوىُّ الهادر قليلا ، وتهادنت بها أرواح العلماء فلا تشتجر في لفظة ، ولا تختصم في (قولة) ، ولا تزدحم على اعتراض ، وانما تسكن إلى هؤلاء الايفاع الثلاثة ومن أخذ إخذَهم سكون الطير المروعة إلى سلام الأيكة المنعزلة ، لأنهم كانوا قليلا ما يرعبون في إثارة القلاقل وإهاجة الفناقل(١) على هذه الأرواح الآمنة البرّة . إنما كان ركدُهم أن يجتزئوا من علوم الفقه بقسمة القدَر ، ثم ينصبوا لعلوم اللسان فيدرسوا الأدَب ، ويقرضوا الشعر ، ويحاولوا الكتابة ، ويتعرفوا إلى العــلم الحديث في دور الكتب ، ويُطلوا على العصر الحديث من نوافذ الصحف ، ويقفوا على البرزخ الممدود بين دنيا الأزهر ودنيا الناس ، ينزعون الى الحياة الحاضرة المتجددة نزوع أسماك البحيرة الآسنة إلى البحر الزاخر المزبد .

(١) كلمة عنها أستاذنا المرصفي من قول الأزهريين عند ورود الاعتراض « فان قيل »

كان أستاذنا المرصفي يطبعنا في النظم على غرار (الحماسة)، وفي النثر على غرار (الكامل)، ويزين لنا ان تنظم معلقة كطرفة، أو ننشيء خبرا كأبي عبيدة، ولكنا كنا نجلس على ذلك البرزخ بعيدا عن هتاف الاشباح، نراقب سير المدنية، ونرامق حياة (الافندية)، ونحاول العبور فيتساءل صديقاى:

— فيم ننظم؟

— في مدح الخديو

— وفيم نكتب؟

— في الحالة الحاضرة

ونكرر كل يوم هذين السؤالين، وهذين الجوابين، حتى استطعنا ان نجد كلاما في مدح الخديو فقلناه ونشرناه.

أما هذه «الحال الحاضرة» فكانت معاياة لم نجد لأمرها مُطَّلعاً ولم نقف في وصفها على حيلة! لأن مدلولها يومئذ كان غامضا في اذهاننا غموض الجبر! فالقرويون يعيشون على نمط الفراعين، والازهريون يعيشون في عهد الايوبيين، والقاهريون يعيشون على حال المماليك، وهذا الذي نسميه الحالة الحاضرة ما كان يذكر الا في مكاتب الصحف، ولا يعرف الا في بعض دواوين الحكومة!

عبرنا البرزخ، وتعاقبت الاعوام على ذلك العهد تعاقب الموج، فبعضها هادىء وبعضها مضطرب، فأما محمود فظل على حدود الماضي، وأما طه فطفر الى آماد المستقبل، وأما أنا فبقيت في الحاضر بين الصديقين، وسأحاول أن أقضي عنهما هذا الدين، فأكتب اليوم في هذا الموضوع الذي وسمنا بالعجز عنه طوال ربع قرن!!

حالنا الحاضرة محنة من محن الانتقال، وخدعة من خدع الاستقلال، وفتنة من فتن الباطل! فهي راكدة ركود العفن، واقفة وقوف الحيرة، لا تستطيع أن تجد لها في لغة التطور اسما ولا صفة! فلا هي سبيل نهضة، ولا هي دليل يقظة، ولا هي مظهر امتعاض! وكأنما تقطعت وشائج الاجتماع بين الطبقات والجماعات والأُسَر، فتناكر الناس، وتدابر الأهل، ودار كل امرىء على نفسه!

فالفلاح كما كان منذ أجيال، لا يكاد ينزع يده من الارض، ولا يرفع طرفه الى السماء، ولا يتبين وجهة الدنيا، ولا يتصور غاية الحكم، ثم يحول عليه الحول فلا يجد نقودا في جيبه، ولا سرورا في قلبه!

والعامل على أسوإ مما كان: يقاسي العطلة، ويعاني الفاقة، ويشكو الأمية، ويستغله الاجنبي بما دون القوت، ثم لا يجد في بلده العين التي تكلؤه، ولا اليد التي تحميه، ولا النور الذي يهديه، ولا الروح الذي يسيره!

والشاب في لبس من أمره! يتعلم ولا يعرف لأي عمل، ويتقدم ولا يدري لأي غاية؟ ويقولون له كن عزيزا في بلدك، سيدا في دارك، متصرفا في أمرك، ثم يخضعونه للامتيازات فتكسر من نخوته في المجتمع، وتغض من كرامته في القضاء، وتهجم على ثروته في التجارة، ويفور شبابه الحين بعد الحين فيكفه الهوان الغالب والقيادة المترددة.

والادب يعتمد في سلطانه على الدعوى والوقيعة، وينقل في أحكامه عن النكران والحقد، ويتفرق شيعا وطوائف، لا ليعدد مذاهب القول، ويجدد طرائق البيان، ولكن ليخلق الخصومة بين الكهول والشباب، ويورث العداوة بين الشعراء والكتاب!

والسياسة تراشقُ بالتهم، وتقاذفُ بالعيوب، وتحتكم الى الخصم، وتحول مجرى الجهاد، وتزهق روح النهضة، وتشوه آمال الأمة بالمطامع السود والاهواء الاثيمة

والحكومة تنبعث من ادراج مكاتبها العليا روائح كريهة تسور في الانوف، وتأخذ بالانفاس، وتفسد الجو على هذه الامة المسكينة!!

هذه هي العناوين الصغيرة لهذا العنوان الكبير، والعناصر الأولية لهذا الموضوع الخطير، أجملناها في رأسه قبل أن ينزل بنا التفصيل الى ذيله! على نحو ما يصنع المعلمون من الكتاب، أو المنشئون من الطلاب، جمعا لشتيت الرأي، وتصويراً لهيكل الفكرة.

فليت شعري يا هداة الأمة ما ذا كنا نقول لو قدر لنا أن نكتب هذا الموضوع حين اقترحناه منذ خمس وعشرين سنة؟!

احمد حسن الزيات

كرستينا ملكة السويد

١٦٢٦ — ١٦٨٦

للدكتور محمد عوض محمد

هذه الصورة — التي عرضتها أمام أهل القاهرة إحدى بمثلات السينما : في شيء كثير من الاسراف الذي يعشقه رواد الملاهي ، وفي شيء كثير من الانحراف عن حقيقة التاريخ التي قلما يعبأ بها أصحاب القصص ، ومؤلفو المسرحيات — هي من تلك الصور التي تتجاوز في حقيقتها وفي طبيعتها مذاهب الوهم ومسابح الخيال . وحسب كل انسان أن تعرض أمامه تلك الصورة كما كانت لا كما يتوهمها القصصيون .

ليس لكرستينا مكان بين كبار الملوك ، ولكن لها شخصية قوية غريبة تستفز لتصويرها كل من يهوى الشيء النافر الغريب الشاذ .

ولدت في أول الربع الثاني من القرن السابع عشر ، وكان مولدها في شهر كانون الأول : في عنفوان الشتاء القارس ، حين يصبح الهواء زمهريرا والماء جمدا . ويوشك الدم أن يتجمد في عروق الناس والحيوان ... وكان حقيقا بمن يولد في هذا الشهر أن يكون في طبعه تؤدة وبرود ، ورزانة وهدوء ... غير أن ابنة جوستاف أدولف ، ما كانت تعرف الهدوء ولا البرود . بل كانت كتلة من الشرر المتطاير واللهيب المندلع .

وسيظن الناس أننا نعبث حين ندعي أن لشهر كانون تأثيرا فيمن يولدون فيه . ولنسلم لهم أن في هذا الزعم ما فيه من عبث ، وأن شهر المولد أبعد الأشياء من أن يؤثر فيمن يولد فيه . ولكن ، بعد التسليم بهذا ، أنستطيع أن ننكر ما للبيئة من تأثير لا يحد ، وقضاء لا يرد ، وأفعال لا تعد ؟ كيف والبيئة هي الركن الركين في فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء ؟

ولقد ولدت كرستينا تحت سماء اسكندناوية مكفهرة تغشاها السحب ، وتكتنفها الغيوم ، في بلاد تجمد أنهارها في الشتاء ، فلا تجرى فيها قطرة ماء ، وتجمد البحار فلا تستطيع السفن حراكا ؛ ويتساقط الثلج ، ويتراكم أكداسا فوق أكداس ، فلا ترى العين حيثما نظرت سوى هذه الكتل البيضاء ، تكسو الشجر والحجر ، والحقول والدور ... ويبرد الهواء حتى ليكاد النفس أن يجمد حين يغادر الشفتين ، ويعجز النبات عن النمو ، فيبقى في الثرى هامدا جامدا ، ينتظر ربيعا لا يجيء الا أخيرا ، وصيفا لا يدوم الا زمنا يسيرا . أما الخريف فما له هنالك من مأرب سوى أن يمهد للشتاء السبيل ؛ وكثيرا ما يندمج فيه ، ويصبح ويمسي جزءا منه

وكان خليقا بمن يولد في هذه البيئة — اذا كان هنالك معنى لما يقوله أصحاب مذهب البيئة — أن يكون هادىء الطبع ، لا يصدر في أعماله الا عن تؤدة وترو ، بعيدا عن طيش أهل الشرق وخرقهم الذي اكتسبوه من حرارة هوائهم ، كثير التبصر في العواقب ، والادخار للمستقبل المظلم كظلام الشتاء ؛ مولعا بالعدل بعيدا عن الاستبداد والظلم اللذين هما من خصائص الشرقيين وأهل البلاد الحارة ، لأن العدل نتيجة الروية والأناة وقلة الاندفاع ، وهذا كله من المزايا التي يمنحها الله لعباده الذين يعيشون في بيئة باردة

وكأنما أرادت كرستينا أن تقلب هذه السنن جميعا فتجعل عاليها سافلها : فاذا هي وسط هذا الجليد والزمهرير شعلة من نار لا تخبو ، ولهيب متقد لا يهدأ ، واذا في طبعها اندفاع وعنف ، واذا هي شديدة القلق ، بعيدة عن الهدوء والاستقرار ... مسرفة مبذرة تبذيرا أفقر الدولة ، جائرة في الحكم حتى لقد مالت الى النبلاء ميلا شديدا ، ومنحتهم موارد الدولة وغمرتهم بالهبات .. شديدة الغرور حتى لقد كانت تضع التاج تحت قدميها ، وتزعم أنها تفخر إذ تطأ برجلها ما يجلل هام الملوك ، وقد نسيت أن ممن حمل ذلك التاج أبوها العظيم جوستاف أودلف ... وعلى حدة ذكائها النادر لم تستطع أن تفهم أنها مهما عظمت فانما عظمتها الحقيقية في عظمة بلادها ... فكانت لا تعنى الا بأبهة الملك ، وبمظاهر العظمة دون حقيقتها ، ومن أجل أبهة الملك أرسلت في طلب ديكارت المسكين ، وألحت عليه في أن يقيم بقصرها في استكهولم لكي يدارسها العلم والفلسفة . فجاء الفيلسوف العظيم وقضى نحبه بعد ثلاث سنين قضاها في بلاد لا يلائمه هواؤها ولا جوها

وكانت متكبرة أشد الكبرياء ، غيورة لا تطيق أن يعرف لأحد فضل ، أو يشتهر له بين الرعية ذكر ، حتى لقد أساءت إلى الوزير القدير اكسنستيرنا ، الذي لم يكن في البلاد بل في أوروبا كلها أقدر منه ... وكانت جامحة في شهواتها أشد الجموح ، منغمسة في اللذات انغماسا يزري بالمتوحشين من أهل أفريقية ، ومع ذلك

فما هي من أهل الشرق ولا من أهل افريقية ، بل من ذلك الجنس الشمالي التيوتوني الذي اشتهر بالاعتدال وبرود الطبع ، كما اشتهر بالشعر الاشقر والعيون الزرقاء . . . فكأنما أرادت كرستينا أن تصفع أصحاب مذهب البيئة باليمين ، وأصحاب مذهب الوراثة بالشمال .

لكن البيئة والوراثة ليستا بالشيئين الوحيدين، اللذين خرجت عليهما كرستينا وطعنتهما في الصميم ؛ بل لقد خرجت أيضا على المؤدبين ونظرياتهم وعقائدهم . . اختاروا لتعليمها وتأديبها رجلا من كبار المؤدبين . فلقد توفي أبوها جستاف أدولف في حومة الوغى ، بين قعقعة السلاح وهزيم المدافع ، في حرب الثلاثين عاما ، ولم تكد الفتاة أن تبلغ السادسة من عمرها

ولم يكن للعرش وارث سواها فحاول المؤدبون أن ينموا فيها طباع الملوك وأخلاق الرجال ، فاذا هي لا تعرف سوى أهواء النساء وميول النساء . واذا فيها كل ما في طبع المرأة المسرفة من تعسف وتسرع ، وعناد كعناد الاطفال، وتطرف، ومتابعة للشهوات، وأرادوا منها أن تناصر المذهب البروتستنتي ، الذي مات أبوها في الدفاع عنه ، والذي بلغت السويد ما بلغته من العظمة بالذود عن حوضه فاذا كرستينا لاتعبأ بالدين البروتستنتي ، ولا يهمها أن تمضي البلاد في تلك الحروب الدينية ، بل لقد انتهى بها الأمر الى نبذ البروتستنتية تماما والميل إلى الدين الكاثوليكي . ولم تكد تبرح البلاد بعد اعتزالها الملك حتى اعتنقت الكثلكة وتركت البروتستنتية غير آسفة عليها ، وغير مكترثة لذلك التراث الديني المجيد الذي ورثته . بل لعل السبب أو بعض السبب الذي دفعها الى اعتزال الملك حب ذلك الدين الكاثوليكي الذي أشربت بغضه وعداوته منذ الطفولة

وبذل المؤدبون كل جهودهم لكي يلقنوها منذ طفولتها كيف تسوس البلاد . وكيف تضطلع باعباء الملك . وكيف تملأ العرش المجيد كما كان يملؤه أبوها . وأن تكون العناية بشئون الدولة . صغيرها وجليلها ، همها الوحيد الذي لا يصرفها عنه شيء .

لكنها لم تكد تكبر وتتولى الحكم ، حتى كانت شديدة التبرم بالدولة وبأعمال الدولة، وبالحكم وما يفرضه عليها من أثقال وأعباء ، ومن عناية بأمور تافهة مسئمة مملة : وهي التي تريد أن تنصرف الى لذات الجسد بالانغماس في الشهوات ، والى لذات العقل بالتحدث الى الفلاسفة ، فكانت تهرب من الاضطلاع بذلك العبء البغيض ، وتفر منه ما استطاعت الى الفرار سبيلا .. وذلك في زمن مقاليد الأمور فيه كلها بيد الجالس على العرش، فكان هذا الفرار داعيا الى إهمال شئون الدولة ونقضا لمصلحة البلاد.

ومع ذلك فقد كانت كرستينا تحسب نفسها عظيمة ، بالغة أقصى حدود العظمة ، حتى لقد قالت وهي تناجي ربها : « إلهي لقد جعلتني من العظمة بحيث لو أحرزت ملك الارض جميعا ما رضيت به ! ».

ورأت من العظمة ان تحيط بها جيش عرمرم من اولئك الناس الذين يدعون النبلاء ، وهم طائفة ممن لا غناء فيهم ، يعيشون عيش الحشرات الطفيلية ، بما تدره عليهم الدولة من مال لم يكدحوا لجمعه واكتسابه ، وكان يلذ لها ان يحدقوا بها ليمطروها ماشاءت من رياء العبودية ، وثناء التزلف .. وأعجبها منهم هذا كله ، فجعلت تزيد في عددهم وتخلق منهم قبيلا بعد قبيل ، حتى باتوا أضعاف ما كانوا في عهد أبيها ، وكان لابد لهم أن يعيشوا عيشة البذخ والترف ، فجعلت تمنحهم الأراضي والضياع باسراف وتبذير منقطع النظير ، حتى استنفدت ثروة الدولة في أشباع هذه الحشرات النهمة ، وأسلمت بلادها الى الافلاس .

وكان من العظمة أن تشجع العلم والتعليم ، وجنت البلاد من هذا بعض الخير ، لكنها غلت ، فأرادت أن يكون بلاطها مأوى العظماء من رجال الفلسفة والعلم . فكانت تنفق من أجل هذا المأرب ، انفاقا مسرفا لكي يقال انها حارسة العلم وصديقة العلماء ، وأعجبها أن يقصدها السفراء من أقاصي الممالك ، وأن يكيلوا لها المدح والاطراء ، ولم تلبث أن بات لهؤلاء الغرباء من النفوذ عليها ما ليس لاحد من وزرائها وبني وطنها . وبينما هي تسمح لهؤلاء أن يستميلوها الى المذهب الكاثوليكي ، ويخرجوها عن دين آبائها ، اذا هي تنفر من مستشار الدولة الأمين ووزيرها المحنك أكسل أكسنسترنا Axel Oxenstierna لانه محبب الى الناس ، ولأن الشعب يرى فيه خادمه المخلص ، المتفاني في خدمته .

كانت كرستينا بلاشك ، من أولئك الملوك الذين لا يستطيعون أن يفهموا أن عظمتهم لا قيمة لها الا اذا استمدوها من عظمة أمتهم ، وأنهم لن يعلو لهم شأن إلا اذا علا شأن دولتهم . فما كان بمجديها أن تكون عظيمة وأمتها حقيرة ، غنية وأمتها فقيرة . ذات صولة وقوة ، وأمتها لاحول لها ولا قوة . فما لبثت أن أفنت موارد البلاد ، واستنفدت خزائن دولة كانت تعد في طليعة دول ذلك الزمن . .

وأراد المخلصون من رجال الدولة أن تتزوج ملكتهم ، لكي يضمنوا لعرش الدولة وريثا يجري في عروقه دم أسرة فازا Vasa

البقية على صفحة ٦٠٠

نعمة الألم

للاستاذ احمد امين

لندع الآن جانبا وصف ما كان من الخلاف بين علماء النفس فى أن الألم شعور موجب، أو لذة سالبة، ولندع كذلك بحوثهم الطويلة فى تقسيم الألم الى أنواع: فنوع منه كالذى نشعر به عند وجع الاسنان، ونوع كالذى نشعر به عند الفشل فى محاولة، ونوع كالذى نشعر به عند مواجهة ما نكره الخ

ولندع أيضا بحوث علماء الاخلاق فى أن الانسان فى جميع أفعاله يطلب اللذة، ولا يطلب شيئا غيرها، ويهرب من الألم ولا يهرب من شىء غيره، وأنه حين يفر من لذة فانما يفعل ذلك لطلب لذة أكبر منها، وأنه حين يتحمل الألم فانما هو يفر من ألم أكبر منه، أو يتطلب بألمه لذة أكبر مما تحمل — ولندع التعرض لما قام حول هذه النظرية من نزاع.

لندع هذا كله، ولننظر الى أثر اللذة فى الحياة العامة وأثر الالم فيها، فيخيل الىّ أنا مدينون للألم بأكثر مما نحن مدينون للذة، وأن فضل الألم على العالم أكبر من فضل اللذة

إن شئت فتعال معى نبحث فى عالم الأدب، أليس أكثره وخيره وليد الألم؟ أو ليس الغزل الرقيق نتيجة لألم الهجر أو الصد أو الفراق؟ ذلك الألم الطويل المريض العميق تتخلله لحظات قصيرة من وصال لذيذ، وليس هذا الوصال اللذيذ بمنتج أدبا كالذى ينتجه ألم الفراق، وإن الأديب كلما صهره الحب، وبرّح به الألم، كان أرق أدبا وأصدق قولا، وأشد فى نفوس السامعين أثراً، ولو عشق الأديب فوفق كل التوفيق فى عشقه، وأسعفه الحبيب دائما، ومتعه بما يرغب دائما، ووجد كل ما يطلب حاضرا دائما لسئم وملّ، وتبلدت نفسه، وجمدت قريحته، ولم يخلف لنا أدبا ولا شبه أدب، ولو كان مكان مجنون ليلى عاقل ليلى لكان كسائر العقلاء — وانما فضّل المجنون لأن نفسه كانت أشد حسا وأكثر ألما

ولولا علوهمة المتنبى ما كان شعره، وما علوهمته؟ أليست كراهية الحياة الدون، والالم من أن يعد من سقط المتاع، والتطلع لأن يكون له الصدر أو القبر؟ وعلى هذا المحور دارت حياته، ودار شعره، ولو نشأ قانعا لما فارق بلدته، ولكان سقاء كأبيه يروى الماء ولا يروى الشعر.

وما قيمة المعرى لولا ألمه من الفقر والعمى - لو كان غنيا بصيرا لما رأيت لزومياته، ولا أعجبت بكلماته، ولكان إنسانا آخر ذهب فيمن ذهب — انما خلده ألم نفسه، وأبقى اسمه قوة حسه.

ولو شئت لعددت كثيراً من أدباء العرب والغرب أنطقهم بالأدب حينا ألم الفقر، وحينا ألم الحب، وحينا ألم النفى، وحينا ألم الحنين الى الأوطان، الى غير هذا من أنواع الآلام

نعم قد أجدت اللذة على الأدب كثيرا — لقد أنتجت لهو امرىء القيس وطرفة، وخمر أبى نواس، وفخر أبى فراس ومجون الماجنين، وفكاهة العابثين، وكان غنى ابن المعتز ولذته ينبوعا صافيا لحسن التشبيهات، وجمال الاستعارات — وخلفت لذة هؤلاء أدبا ضاحكا، كما خلف الألم أدبا باكيا. خلفت اللذة أدب الملهاة (الكوميديا) وخلف الالم أدب المأساة (التراجيديا) ولكن أى الادبين أفعل فى النفس، وأيهما أدل على صدق الحس، وأيهما أنبل عاطفة، وأيهما أكرم شعوراً، أى النفسين خير؟ أمن بكى من رؤية البائسين، أم من ضحك من رؤية الساخرين؟ أمن رأى فقيرا فعطف عليه، أو هزأة فضحك منه؟!

***

على أنى أخشى أن تكون اللذة التى أخرجت الأدب الضاحك ليست إلا ألما مقنعا أو علقما «مبرشما» أليست خمر أبى نواس حوراء، وداونى بالتى كانت هى الداء»؟ أو ليس قد هام بها لأنها لومسها حجر مسته سراء؟ فهو يهيم بالخمر فرارا من ألم الدنيا ومتاعب الحياة؟

ولو فتشت عن دخيلة ابن المعتز ، لرأيت ألما قد بطن بلذة ، وجحيما فى شبه نعيم

* * *

ثم تعال معى الى الحياة الاجتماعية . فخير الأمم من تألم للشر يصيبه ، والضر يلحق به ، وهل تحاول أمة أن تصلح مابها الا اذا بدأت فأحست بالالم ، أوليس من علامة تماثل المريض للشفاء أن يحس بالألم بعد الغيبوبة — ثم من هو المصلح؟ أليس أكثر قومه ألما مما هم فيه . أوليس هو أبعدهم نظراً ، وأصدقهم حسا . دعته رؤية مالم يروا ، واحساسه ما لم يحسوا ، أن يكون أعمق منهم ألماً وأشد منهم سخطاً ، فلم يسعه الا أن يجهر بالاصلاح وان يتحمل منهم عن رضى ما يصيبه من ألم ، لان ألم نفسه مما يرى بهم ، أكبر من أى ألم يناله منهم ؟ — وما الوطنية ؟ أليست شعوراً بألم يتطلب العمل ؟

ومن نعم الله أن أوجد أنواعا من الآلم هى آلام لذيذة تتطلبها النفوس الراقية وتعشقها . ولو عرض عليها ان تعوض عنها لذائذ صرفة لما قبلتها . فلو عرض على الفيلسوف المتألم لذة غبى جاهل لرفض فى غير تردد ، ولو خير المصلح المجاهد ينغص عليه قومه ، وينغص عليه غير قومه ، وينغص عليه بعد نظره ، وينغص عليه قوة شعوره ما اختار من حياته بديلا — ذلك لان آلامه سرى فيها نوع من اللذة لا يدركه الا العارفون ، وأصبح يهيم بهذا الالم اللذيذ . ويرى اللذة الصرفة لذة أليمة — وكل ميسر لما خلق له .

* * *

أكره من الألم أن يكون ألماً يائساً ، فهو يسلم للضعف فالموت ، وأحب الألم الآمل فهو أبعث للقوة والحياة

وتعجبنى اللغة العربية إذ قاربت فى اللفظ بين الالم والامل ، وباعدت بين الألم واليأس ، فاللهم لا تحرمنى الألم ، ولكن قدّر أن يكون ألماً لذيذاً .

أحمد أمين

حرب فى بلاد العرب

الحرب بين نجد واليمن

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كان الخلاف يشتد منذ حين بين زعيمى الجزيرة العربية ، جلالة ابن السعود ملك نجد والحجاز وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن . وكانت آمال العرب والمسلمين قوية فى أن ينتهى الزعيمان بالمفاوضة والحسنى الى حسم الخلاف القائم بينهما ، وان يبذل كل ما فى وسعه لاتقاء حرب اهلية تشق الجزيرة بعواقبها . ولكن العرب والمسلمين فجعوا أخيرا فى هذه الآمال ، فوقع الخطب ونشبت الحرب فى الجزيرة للمرة الثانية خلال بضعة أشهر . وكانت قد نشبت فى الخريف الماضى بين القوات اليمنية والنجدية لنفس الخلاف الذى يثيرها اليوم ؛ ولكنها أخمدت بسرعة وتغلبت الروية والحكمة يومئذ ؛ وكان لصوت العرب والمسلمين أثره فى ذلك ؛ فعاد الزعيمان الى التفاهم والمفاوضة ، وعقد مؤتمر نجدى يمنى ليبحث وجوه الخلاف ، وليحاول الوصول بها الى تسوية مرضية ولكنه لم يوفق فى مهمته لتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره فكان تفاقم الخلاف ، وكانت الحرب

وهذا الخلاف الذى يضرم الحرب فى جنوب الجزيرة العربية قديم يرجع الى اعوام بعيدة . ومنشؤه مسألة الحدود بين البلدين وتنازع السيادة بينهما على المناطق والاراضى الواقعة بين الحجاز واليمن ، وهى تشمل ولاية عسير الواقعة فى جنوب الحجاز وشمال اليمن ، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرق الحجاز وشمال شرق اليمن . وقد كانت السيادة فى عسير حتى سنة ١٩٢٢ مقسمة بين قبائل بنى شهر القوية فى قسمها الشرقى ، وبين الادارسة فى قسمها الغربى وهو المعروف بتهامة ؛ ففى سنة ١٩٢٢ اجتاحت القوات السعودية منطقة عسير الشرقية ، وحطمت قبائل بنى شهر واستولت على أراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد . ولما استولى ابن السعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأى أن الاستيلاء على تهامة ضرورى لتأمين حدود الحجاز الجنوبية ؛ ورأى الادارسة أن القوات النجدية تطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن

السعود والاستظلال بلوائه ؛ وعقد زعيمهم السيد الحسن الادريسي اتفاقا مع ملك نجد توضع عسير تهامه بمقتضاه تحت حماية نجد واشرافها (سنة ١٩٢٦) ؛ واستمر الأدارسة فى حكم البلاد تحت اشراف مندوب من قبل ملك نجد ؛ ولكن هذا الوضع الشاذ كان مثارا لمصاعب وخلافات لا نهاية لها ؛ واضطر السيد الادريسي فى النهاية أن يتخلى عن مهمة الحكم والادارة وأن يفوض الامر الى ملك نجد ؛ وشعر ابن السعود انه لا يستطيع المحافظة على عسير الا اذا ضمها الى املاكه ، فاعلن ضمها فى سنة ١٩٣٠ ؛ ونزع الادارسة كل سلطان حقيقى ؛ وبذلك امتدت حدود المملكة السعودية الى شمال اليمن ، وزادت بذلك اسباب الاحتكاك بينهما . وكانت هذه الاسباب قائمة منذ استولى ابن السعود على اراضى بنى شهر (عسير الشرقية) ، واشرفت بذلك على منطقة نجران التى يدعى امام اليمن أنها من ملحقات مملكته وأن قبائلها تلتمس حمايته ، ويدعى ابن السعود أن قسمها الشمالى داخل فى اراضيه . ولكن استيلاء ابن السعود على امارة الادارسة كان أبعد فى استياء الامام وتوجسه من اشراف « الاخوان » على حدوده الشمالية . وكان للامام من قبل نفوذ قوى على الادارسة ، وكانت عرى التفاهم والتحالف بينهما قوية متينة ، وكان يرى دائما انه اولى وأحق بضم هذه المقاطعة الى املاكه من منافسه القوى الذى قصد اليها من قلب الجزيرة ، واستطاع فى اعوام قلائل ان يدفع حدود املاكه حتى البحر الاحمر غربا واليمن جنوبا ؛ ولكن الامام لم يكن فى ظروف تمكنه من الاقدام على هذه الخطوة لأنه فى الوقت الذى استولى فيه ابن السعود على عسير كان مشغولا بخصومته مع الانكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن ، وقد احتلها الانكليز بحجة أنها اختارت الحماية الانكليزية ، وأغارت أسرابهم الجوية على اليمن مرارا والقت قنابلها على صنعاء عاصمة اليمن ، ولم يستطع الامام يومئذ أن يفعل شيئا لمقاومة الغزو السعودى فى عسير

تلك هى أسباب الخلاف الجوهرية بين اليمن والمملكة السعودية . وقد استطاع ابن السعود والامام أن يتغلبا مدى حين على بواعث الخصومة ، وأن يتذرعا بالروية والتفاهم ، وأن يحسما أسباب الخصومة فى كثير من المواطن ؛ بل لقد انتهى التفاهم بينهما إلى أن عقدا معاهدة صداقة وحسن جوار فى سنة ١٩٣١ تعهد فيها كل منهما بمراعاة المودة والصداقة وتسليم المجرمين من رعايا الفريق الآخر ، وتبادل حقوق التوطن والاقامة بالنسبة لرعايا الدولتين ؛ ولكن هذه الجهود المحمودة فى سبيل الوفاق والتفاهم لم تنجع على مايظهر فى حسم أسباب الخلاف الحقيقى ؛ واستمرت بواعث الاحتكاك على مسائل الحدود تنفجر من آن لآخر . وفى سنة ١٩٣٢ انتقض الادارسة على عمال الحكومة السعودية ، واضطرمت فى عسير ثورة خطيرة وهوجمت القوات السعودية بشدة ، واصيبت بخسائر فادحة ، وردت عن بعض المواقع الهامة ؛ فبادر ابن السعود بارسال النجدات القوية إلى عسير ، وأخمدت الثورة بعد خطوب ، وفر الزعماء الأدارسة إلى اليمن ، والتجأوا إلى حماية الأمام . واستشعر ابن السعود على ما يظهر ريبا فى موقف الامام ازاء هذه الثورة ، وفى أنها ليست بعيدة عن وحيه وتدبيره ومؤازرته المعنوية على الاقل ، خصوصا وقد رفض ما طلبه ابن السعود من تسليم الزعماء الادارسة بالاستناد إلى المعاهدة المعقودة ؛ عندئذ عاد الخلاف بين الملكين إلى أشده ، واخذ كل منهما يحشد قواته على الحدود . ومع ذلك فقد حاول ابن السعود أن يبذل مجهودا اخيراً فى سبيل الوفاق والتفاهم ، فارسل إلى الامام وفدا للمفاوضة ، ولبث الوفد السعودى فى صنعاء عدة أسابيع دون أن يوفق إلى مفاوضة الامام أو التفاهم معه ؛ وقيل يومئذ إن الوفد وضع بأمر الامام أو بأمر ولده سيف الاسلام فى حالة اعتقال . وعلى أى حال فقد فشلت هذه المحاولة ، وتفاقم الخلاف حين تقدمت القوات اليمانية شمالا فى مقاطعة نجران ، واستولت على بعض مواقع فى جنوب تهامة ، واشتبك الفريقان يومئذ فى بعض المعارك المحلية ؛ واستشعر العالم العربى والاسلامى خطر هذه الحرب الاهلية فرفع صوته يحذر الزعيمين من عواقبها ، ويناشدهما حقن الدماء واتقاء الشر ، فوقفت الحرب يومئذ فى بدايتها ، وأصغى الفريقان مدى حين لهذا النداء الحكيم

ولكن الحرب تعود فتضطرم اليوم بين زعيمى الجزيرة العربية ويعود الخطر فيهدد مستقبل الجزيرة بشر العواقب . وأشد ما نخشى أن تكون المطامع والدسائس الاستعمارية جاثمة وراء هذه الحرب الاهلية تنفخ النار فيها ، وتترقب من خلالها فرص التدخل . ذلك أن المملكة السعودية بلغت من الضخامة والقوة حدا أضحى يشغل السياسة البريطانية . والمملكة السعودية (نجد وملحقاتها) تجاور بحدودها جميع مناطق النفوذ البريطانى فى شبه الجزيرة ؛ فهى تجاور العراق من الشمال الشرقى ، وتجاور شرق الاردن وفلسطين من الشمال

الغربي، وتجاور الكويت وعمان من الشرق، وتشرف على حضرموت من الجنوب؛ وقد دلل ابن السعود في أكثر من فرصة على قوته ومنعة مملكته التي تشمل جميع اواسط الجزيرة من شرقها الى غربها ودلل بالاخص على أنه شديد الحرص على سلامة حدوده واراضيه لا يغضى عن أية محاولة تقوم بها السياسة البريطانية لتوسيع نفوذها داخل الجزيرة، وقد رفض مرارا ماعرضته بريطانيا من الاتفاق معه على استثمار موارد الحجاز الطبيعية، أو منحه قرضا يمكنها من التدخل في شئون مملكته؛ وعلائق ابن السعود حسنة مع روسيا السوفيتية، والتجارة السوفيتية متفوقة في الحجاز، وهذا مالا يرضى بريطانيا. وابن السعود يدعى ملكية العقبة وماحولها من الاراضى التي تحتلها بريطانيا، ويهدد بالاغارة عليها من حين لآخر، حتى أن بريطانيا اضطرت ان تنشىء لها في العقبة مركزا بحريا ومركزا للطيران الحربي. فهذه العوامل والظروف كلها تحمل السياسة البريطانية على التوجس من صديقها القديم ابن السعود ومن ازدياد قوته ونفوذه داخل الجزيرة، هذا واما اليمن فهى محط انظار السياسة الايطالية، لان موقعها على الضفة الشرقية من البحر الاحمر تجاه مستعمرة أريترية الايطالية الرافقة على ضفته الغربية يجعل لها في نظر ايطاليا أهمية خاصة. وقد توثقت العلائق بين اليمن وايطاليا منذ سنة ١٩٢٨ وزار رومه يومئذ وفد يمنى برئاسة سيف الاسلام ولد الامام، واستقبل بمنتهى الحفاوة؛ وعقدت بين اليمن وايطاليا معاهدة تجارية اقتصادية. وتقربت روسيا السوفيتية من اليمن ايضا وعقدت معها معاهدة ودية تجارية (سنة ١٩٢٩) وكان ذلك عاملا في جزع السياسة البريطانية وتطور سياستها نحو اليمن. ذلك أن بريطانيا تجاور اليمن في عدن اعظم مراكزها البحرية في البحر الاحمر، وتحتل الى جانب عدن عدة مناطق أخرى تجاور اليمن من الجنوب الشرقي وينازعها الامام في ملكيتها. وكان الخلاف قويا مستمرا بين الانكليز والامام منذ أعوام طويلة، والسياسة البريطانية تتردد بين خصومته وصداقته، وتحاول إرغامه من وقت لآخر بتنظيم الغارات الجوية على اراضيه، أن يعترف بملكيتها للمناطق التي تحتلها. فلما اتجه الامام نحو السياسة الايطالية، وظهرت روسيا السوفيتية في الميدان تتقرب الى اليمن، خشيت السياسة البريطانية عواقب هذه الخصومة، فعادت الى مصانعة الامام، ودارت بينهما مفاوضات انتهت اخيرا بعقد معاهدة يمنية بريطانية تعترف فيها بريطانيا العظمى باستقلال اليمن، وتسوى فيها بعض المسائل المعلقة بين الفريقين، وتنظم علائقهما. فهذه العوامل والظروف كلها مما يحمل على الاعتقاد بأن اضطرام الخصومة بين الامام وابن السعود زعيمى الجزيرة العربية ليس مما يعنيهما وحدهما، وان تشوب الحرب بين اليمن والمملكة السعودية مما يثير أشد الاهتمام من جانب السياستين البريطانية والايطالية؛ ومن الصعب ان نحاول الآن ان نلتمس ما قد يكون لاحدى هاتين السياستين اولهما معا من عناصر الوحي أو التأثير في سير الظروف والحوادث التي أدت الى هذه الأزمة الخطيرة في علائق زعيمى الجزيرة العربية؛ ولكن الذى لاريب فيه ان السياستين البريطانية والايطالية تترقب كل فرصها خلال هذه الحوادث، وتبذل وسعها للاستفادة منها، ودفعها الى الطريق الذى يتفق مع مصالحها وغاياتها

وليس هنا مقام التحدث عن المسئولية، ومن ترجع اليه التبعة في وقوع هذه الحرب التي تهدد مصاير الجزيرة العربية بشر العواقب، فلكل من الفريقين المتخاصمين وجهة نظر، ولكل أسبابه التي يستند اليها في تأييد موقفه. ويكفى اننا سردنا الحوادث والظروف التي أدت الى هذا الموقف. وهى كما يرى القارىء حوادث وظروف تجمع وتهيأ منذ عدة اعوام، ثم اشتدت وتفاقمت في العامين الأخيرين. بيد أننا لا يسعنا إلا أن نعرب عما يخالجنا ويخالج العرب جميعا والمسلمين جميعا من الأسف والجزع لاضطراب افق الجزيرة العربية بهذا الحدث الخطير الذى لا تقتصر عواقبه على المملكة السعودية وحدها أو على اليمن وحدها، ولكنها تلحق القضية العربية بأسرها. ونحن على يقين من أن جلالة عبد العزيز بن السعود، وسيادة الامام يحيى يدرك كلاهما خطورة الموقف ويود أن يتقيه بكل ما وسع؛ ولقد برهن كلاهما خلال الأعوام الأخيرة في اكثر من موطن على أنه يؤثر التذرع بالروية والحكمة ويؤثر الصفاء والسلام، وقد استطاعا حتى اليوم أن يتجنبا كارثة الحرب؛ فمثل هذه الحرب مهما كانت نتائجها بالنسبة للمملكة السعودية أو اليمن لا يمكن الا أن تكون شرا على مستقبل الجزيرة العربية؛ وما تزال ثمة فرصة للمهادنة والتفاهم، فهلا بذل زعيما الجزيرة جهودا اخيرا لتدارك الخطب وحقن الدماء، فيحققا بذلك رجاء كل عربي وكل مسلم، ويعيدا بذلك إلى الجزيرة سلامها وأمنها؟

محمد عبد الله عنان

المحامى

فلسفة القصة

ولماذا لا أكتب فيها..؟

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

سألت الاستاذ مصطفى الرافعي ، لماذا لا يكتب في القصة ، ولماذا يخلو أدبه منها ؟

— فاجاب :

« لم أكتب في القصة الا قليلا ، إذا أنت أردت الطريقة الكتابية المصطلح على تسميتها بهذا الاسم ، ولكني مع ذلك لاأراني وضعت كل كتبي ومقالاتي الا في قصة بعينها ، هي قصة هذا العقل الذي في رأسي ، وهذا القلب الذي بين جنبي .

« شاع أدب القصة في أوربا ، وطغى عندهم على المقالة ، والكتاب وديوان الشعر جميعا ، فقام عندنا المتابعون في الرأي ، والمقلدون في الهوى ، والضعفاء بطبيعة التقليد والمتابعة — قاموا يدعون الى هذا الفن من الكتابة ، ولا يرون من لايكتب فيه الا متأخرا عن عصره وأدب عصره . ولا جرم اذا كانوا هم أنفسهم مدبرين عن الحقيقة ومعنى الحقيقة . وأنت متى كان وجهك إلى الباطل وظهرك الى الحق ، فمهما تقدم في رأى نفسك فانما تتأخر في رأى الحق ، وكلما قطعت الى غايتك رأيت الذي وراءك متخلفا متراجعا بمقدار ما أبعدت كأنه في أمس ، وكأنك في غد ، ولا يوم بينكما يجمع منكما ماتفرق .

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر . والقبلة التي أتجه اليها في الأدب انما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب الا مايبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ، ولذا لاأمس من الآداب كلها الا نواحيها العليا — ثم انه يخيل الي دائما أني رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ، فأنا أبدا في موقف الجيش (تحت السلاح) له ما يعانيه وما يكلفه وما يحاوله ويبني به وما يتحاماه ويتحفظ فيه ، وتاريخ نصره وهزيمته في أعماله دون سواها . وكيف اعترضت الجيش رأيته فن نفسه ، لا فنك أنت ولا فن سواك ، اذ هو لطريقته وغايته وما يتأدى به للحياة والتاريخ

« وقد عابني مرة أحد الكتاب بأني (لا أكتب في الدراما) فلو أن هذا الكاتب وقف على شاطئ المحيط وجعل يتهكم بالاسطول الانجليزي فيزري عليه أنه ليس شيوعيا ولا بلشفيا ، فما عسى أن يقول الاسطول اذا هو أجابه الا أن يقول شيئا كهذا : تبارك من صنع هذا الانسان مدفع لحم لاطلاق الكلام الفارغ .

« أنا من أجل ذلك لا أزال الى الآن مع الأدب العربي في فنه وبيانه أكثر مما أنا مع الحكاية ولغتها وعواطفها ؛ فأكبر عملي إضافة الصور الفكرية الجميلة الى أدبنا وبياننا متحاشيا جهد الطاقة أن أنقل الى كتابتي دواب الارض أو دواب الناس أو دواب الحوادث ؛ فان الكتب ليست شيئا غير طبائع كتابها تعمل فيمن يقرؤها عمل الطباع الحية فيمن يخالطها . والرواية اذا وضعها كاتب فاجر ؛ فهي عندي ليست رواية بل هي عمل يجب أن يسمى في قانون العقوبات (فجورا بالكتابة) .

« إن أكثر ماتراه من القصص ، وبخاصة هذه التي غمرت الكتابة عندنا — انما هي صناعة لهو ، ومسلاة فراغ ، وهذا قد يكون له وجه في علاج الحياة العملية ، وفي تخفيف حطمة الاجتماع في أوروبا وأمريكا ، ولكن ماموضعه عندنا في الشرق ، والشرق إنما نعمل في نهضته لمعالجة اللهو الذي جعل نصف وجوده التيامي عدما ، ولملء الفراغ الذي جعل نصف حياة الانسانية موتا ؟ هذا الضرب من القصة هو لرجالنا ونسائنا اذا قرأوه وتلهوا به أشبه بادخال أولئك الرجال والنساء — ادخالهم وادخالهن على الكبر — في مدارس رياض الاطفال . .

« الأطفال يستلذون الحكاية بالفطرة لأنها تجيئهم بالدنيا التي يعسر عليهم أن يذهبوا اليها أو يغامروا فيها ، وتهيء لهم أن يشعروا خيالهم قوة الخلق فتكون لذتهم على مقدار من بعد هذه الدنيا عنهم وعلى مقدار مثله من طبيعة العجز في خيالهم ، وهذا الضعف في الناحيتين هو بعينه الذي يجعل لأكثر القصص شأنا عند سخفاء الناس وفراغهم ، وأهل الحق فيهم ، يسعرهم شهوات وخيالات وأوهاما من الباطل . فذلك إذن ليس أدبا يكتب ويقرأ ، بل هو بلاء اجتماعي يطبع ويوزع في الناس ...

الا ترى أن تلك الروايات توضع قصصا ، ثم تقرأ فتبقى قصصا ؟ وإن هي صنعت شيئا في قرائها لم تزد على ما تفعل المخدرات

تكون مسكنات عصبية إلى حين : ثم تنقلب هي بنفسها بعد قليل إلى مهيجات عصبية ؟ !

وأنا لا أنكر أن فى القصة أدبا عاليا ، ولكن هذا الأدب العالى فى رأيى لايكون إلا بأخذ الحوادث وتربيتها فى الرواية كما يربى الأطفال على أسلوب سواء فى العلم والفضيلة . فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون وطريقة محصة ، وغاية معينة ، ولا ينبغى أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر الذين تصبهم مواهبهم لالقاء الكلمة الحاسمة فى المشكلة التى تثير الحياة أو تثيرها الحياة ، والأعلام من فلاسفة البيان الذين رزقوا من أدبهم قوة الترجمة عما بين النفس الانسانية والحياة ، وما بين الحياة وموادها النفسية فى هؤلاء وهؤلاء ، تتخيل الحياة فتبدع أجمل شعرها ، وتتأمل فتخرج أسمى حكمتها ، وتشرع فتضع أصح قوانينها .

« وأما من عداهم ممن يحترفون كتابة القصص فهم فى الأدب رعاع وهمج كان من أثر قصصهم مايتخبط فيه العالم اليوم من فوضى الغرائز — هذه الفوضى الممقوتة التى لو حققتها فى النفوس لما رأيتها إلا عامية روحانية منحطة تتسكع فيها النفس مشردة فى طرق رذائلها

إذا قرأت الرواية الزائفة أحسست فى نفسك بأشياء بدأت تسفل ، وإذا قرأت الرواية الصحيحة أدركت من نفسك أشياء بدأت تعلو . تنتهى الأولى فيك بأثرها السيء ، وتبدأ الثانية منك بأثرها الطيب . وهذا عندى هو فرق مابين فن القصة ، وفن التلفيق القصصى ! !

* * *

هذا هو رأى الاستاذ الرافعى ننشره على أصله ، لينظر فيه الكثير من شبابنا الناشئين ، الذين أقبلوا على كتابة القصة ، لعل فيه ما ينفعهم ويفيدهم ، ويمهد لهم سبيل الكمال فى انتاجهم .

اسعد حنا

٢ - الاسماعيليـــة

الملقبون بالحشاشين

أين نشأ ابن الصباح :

ورد فيما مضى ذكر لدار الحكمة(١)وهى المدرسة التى أنشأها فى مصر الحاكم بأمر الله العبيدى فى القرن الثالث الهجرى لتعليم مذهبه التوحيدى ، فلما مات أبو طاهر الجنابى عام ٣٣٢ هـ وهو الذى خلف أبا سعيد الجنابى كانت هذه المدرسة قد زهت وأفلحت فلاحا عظيما ، وكان أساس التعليم فيها قلب الخلافة العباسية وزوال دولتها ، وكان الدخول فيها مباحا لكل راغب ، ويلقى العلوم فيها شيوخ تصرف لهم المرتبات والمكافآت العظيمة من أموال الدولة ، وكانت علوم هـــذه المدرسة تسعة كلها دينية منقولة عن مبادىء ابن القداح (القداح هو ولد ديصان واسمه عبد الله ولقب بالقداح لانه كان يعالج العيون بقدحها ، وكان أبوه قد علمه الحيل ، وأطلعه على أسرار نحلته ومخاريقه ، فلما مات خلفه ابنه ، وكان يدعو الى ظهور المهدى فى ذلك الزمـــان فى اليمن ، وهو المذهب الذى تفشى فى البحرين فى القرن الثالث الهجرى كما ذكرنا) .

وكانوا فى الدور الأول من هذه العلوم يعمون على الطالب ويشوشون عليـه تشويشا مخيفا ويلقنونه معنى مكتوما لمتن القرآن ، وفى الدور الثانى يفرضون عليـه أيمانا وأقساما يقسم بها ويبالغ فى حفظها ، ثم يعلمونه معرفة الائمة المقامين من الله تعالى الذين هم

---

(١) ذكر الكاتب فى اكثر من موضع ان دار الحكمة المصرية أنشئت فى القرن الثالث الهجرى ، ويقول هنا إنها أفلحت وازدهرت فى أوائل القرن الرابع . وهذا خطأ تاريخى بين ، فدار الحكمة الفاطمية لم تقم الا فى أواخر القرن الرابع. أنشأها الحاكم بامر الله بصفة رسمية فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥ م)وكانت مجالس الحكمة تعقد قبل ذلك أيام العزيز منذ سنة ٣٨٥ هـ ، ويتولى تنظيمها قاضى القضاة . ولم يكن أساس التعليم فيها قلب الدولة العباسية كما يقول الكاتب ، ولكنها انشئت أولا لقراءة علوم الفقه طبق الاصول والتقاليد الشيعية ، ثم تطورت الى نوع من الدعوة الدينية والسياسة الفاطمية ، واتخذت اتجاها فلسفيا حرا ، ورتبت فيها الدعوات الفلسفية السرية الشهيرة (راجع خطط المقريزى - مصر - ج ٤ ص ٧٠ - ٧٢ ، ص ١٥٨ ، ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ وما بعدها) (الرسالة)

في مذهبهم أصل كل معرفة ، فاذا بلغ الطالب الدور الثالث علموه عدد هؤلاء الأئمة الذي لا يتجاوز سبعة ، واذا بلغ الدور الرابع علموه انه منذ خلق الله العالم وجد سبعة متشرعون إلاهيون هم الرسل . السبعة المعروفون في مذهبهم بالنطقاء ، وكيفية اقامتهم لتلك الشرائع . فاذا بلغ المرتبة الخامسة علموه أن لكل واحد من هؤلاء السبعة اثنى عشر رسولا للدعوة الى الايمان الصحيح ، واذا بلغ السادسة علموه السنن الاسلامية ، ولقنوه ان كل الشرائع الدينية المشروعة يجب أن تكون خاضعة للشرائع العمومية والفلسفة ، معولين في ذلك على فلسفة أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، وهي عندهم رأس كل تعليم ، واذا بلغ المرتبة السابعة انتقل من الفلسفة الى الاسرار ، وفي الثامنة كانوا يثقفون عقله بتعليم أشياء من مراتب الانبياء والرسل ، ويلقنونه وجوب انكار وجود الجنة والنار ، ويبطلون الأعمال ويقولون أن ليس على الأعمال ثواب ولا عقاب لا في الدنيا ولا في الآخرة . ثم يدخل الطالب في الدور التاسع وفيه ينقاد الانقياد الاعمى لشيخه فلا يخالف له أمراً ولا يعصي له كلمة ولو أدت إلى الموت .

ونظرة الى هذه التعاليم ترينا مقدار مخالفتها للدين الاسلامي ، فان منها ما لو آمن به المسلم لكفر ، وتتبين منها الكراهة لبني العباس والتشويش على الطالب بتلقينه معنى مكتوماً لمتن القرآن حتى يتيسر لهم التوفيق بين انكار الجنة والنار ، وما ورد في ذلك الكتاب المقدس عن وجودهما بأصرح عبارة . ثم هذا الى ذكر المشرعين الالاهيين والرسل الذين يدعون الى الدين الصحيح ، وما في ذلك من التشكيك في صحة النبوة والدعوة الى الارتياب فيها وقصر الصحة على أولئك الرسل وحدهم .

في هذه المدرسة التي ذكرنا تعاليمها الخبيثة درج زعيم الحشاشين ، وعلى هذه المبادىء التي تناقض الدين نشأ ابن الصباح . فلا عجب إذن ان فعل ما سنراه من المنكرات ، ولا عجب أن تكرر هذه الافعال نتيجة سيئة لانكار الحساب والجزاء والعقاب . واذا كان الشخص الناشىء على هذه التعاليم خطراً على الدين والاخلاق فماذا يكون اذا شابه ابن الصباح فيما كان عليه من دهاء وعلم وحذق ؟ ! لكأن ابن الصباح أصلح نفسية تلائم هذه المدرسة وأخصب عقلية لغرس تعاليمها .

كيف تولى ابن الصباح أمر الاسماعيلية

يقول ابن الاثير (وكان الحسن من تلاميذ ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ، ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ، ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالا ، وأمره ان يدعو الناس الى امامته ، فقال له الحسن فمن الامام بعدك ؟ فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ، ودخل كشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم . فلما رأى قلعة (آلموت) واختبر أهل تلك النواحي اقام عندهم وطمع في غوايتهم ودعاهم في السر ، وأظهر الزهد والورع ولبس المسوح فتبعه أكثرهم ، والعلوي صاحب القلعة حسن الظن به ، وجلس اليه وتبرك به . فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي في القلعة ، فقال له ابن الصباح : اخرج من هذه القلعة ، فضحك العلوي وظنه يمزح ، فامر ابن الصباح أصحابه فأخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة)

هذا الدهاء الذي اتصف به الحسن كان من أكبر العوامل التي ساعدته على تسلم الرياسة الكبرى للاسماعيلية ، والى جانب هذا الدهاء انصراف الخلفاء من بني العباس في وقته عن الشؤون العامة وعجزهم عن تحصين إمامتهم ، وضبط خلافتهم لاسترداد الملك للعجم من الديلم والسلاجقة فباتوا وهم لا يقدرون على كف الغوائل عنهم ، والاسماعيلية ينتشرون في أنحاء الشرق القاصية

وبعد استيلاء الحسن على قلعة آلموت في ولاية جيلان بفارس وهي أقوى القلاع زادها قوة وأحكم تحصينها وجعلها تحت دولة الاسماعيلية ، فعظم أمره بين أتباعه ولقبوه بالشيخ وهو أكبر القابه ، وقد كانت له ألقاب أخرى منها الرئيس والسيد

وبعد أن تولى الرياسة كثر أتباعه وانقادوا له الانقياد الاعمى فاتخذ منهم أداة للظلم والطغيان فأرهب بهم الخلق والملوك والسلاطين وحاربهم وهزمهم ، وقد قام بترتيب الطائفة الى ثلاث مراتب : الدعاة وهم الداعون الى مذهب الطائفة ، والرفاق وهم الذين اعتنقوا المذهب وخضعوا لسلطة الرئيس ، والفداوية وهم عدة الرئيس خاصة يسيرهم كما يشاء ، وكانوا يربون في بيوت الرؤساء منذ نعومة اظفارهم يلقنون طاعة الرئيس والتضحية بالنفس في سبيل إنفاذ اوامره ، ويفهمون ان الواحد منهم قد علا [illegible] لانه بفداء روحه ويصور لهم العذاب

فى ابشع صورة إن هم خالفوا للرئيس امرا ، والنعيم فى أشهى مظاهره انهم تفانوا فى خدمته . وهنا تظهر صولة القوم وخداعهم فقد كانوا كى يحققوا للفدائية مايعدونهم به من نعيم مقيم ينشئون الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء يحيطونها بالاسوار العالية ويضعون فيها من الصناعات ماحسن تنسيقه مما يبهر الانظار ويخلب الالباب ويجعلون فيها كل انواع الفاكهة والازهار والورود والرياحين تتدفق فيها الشلالات الجميلة وسط المزروعات الخضراء والمروج الفيحاء ، وينبعث من أرضها ماء فى الينابيع والنافورات ، ويخصصون أمكنة من تلك الحدائق تكون مجالس فاخرة وأروقة مزخرفة بالخزف والصيني والفرش، والبسط والطنافس والرياش ويودعون فيها الاوانى الفضية والذهبية والبلورية المموهة بالذهب الخالص يزين ذلك كله أجمل العذارى، وأظرف الولدان فى ثياب أرق من نسج العنكبوت يروحون فى تلك الحدائق ويغدون كالأطيار الجميلة تتنقل من دوحة الى دوحة، يغرون الناظرين بالتيه والدلال، وبالجملة فقد جعلوا من تلك الحدائق فتنة لاتباعهم ، فاذا فاز أحد الرفاق على الآخر فى اظهار منتهى الطاعة للرئيس والخضوع لأوامره خضوعا تاما وكتم السر والاحتفاظ بالعهود ، أعطوه من الحشيش مايذهب معه لبه ، ويفقده صوابه . ثم أرسلوه الى تلك الحدائق الساحرة حيث يفيق بين مظاهر الجمال ويغمر بانواع الملذات ويتركونه ساعة يعطونه بعد مضيها الحشيش مرة أخرى حتى اذا غاب عن صوابه أعادوه الى مكانه الأول . وهناك يمنونه بالعودة الى تلك الجنان إن هو زاد فى طاعته ، وبلغ فى التفانى والولاء اقصى ما يستطيع

وبعد أن تفشت هذه التعاليم أباح الرؤساء لتابعيهم كل انواع الملذات وأطلقوا لشهواتهم العنان ، وأباحوا لهم زواج الاخوات وكل من يحرم الدين الزواج منهن ، وعكفوا على تعاطى الحشيش وأدمنوا فى ذلك واسرفوا ، حتى انقلبت تلك الطائفة التى تدعى أن لها تعاليم دينية راقية وانها تدعو الى الايمان الصحيح الى فئة طاغية مجرمة تحلل المحرمات وتحض على المنكرات . وترى فى القتل عملا مشروعا يثاب عليه فاعله .

ولما قامت الحروب الصليبية كان للحشاشين فيها يد سوداء ، وقاموا فى اثنائها بأفظع الاعمال الوحشية ، فاطلق عليهم الفرنجـــة اسم Assassin وهو تحريف لكلمة حشاشين وجعلوه لكل قاتل مجرم . ويروى المؤرخون لاولئك الحشاشين من فظائع الاعمال مايعطينا عنهم صورة بشعة رسمت بلون الدماء الحمراء ، ووضعت فى اطار من عظام القتلى وأشلائهم ، فيقول المسعودى وابو الفداء إنه بلغ من جرأة الحشاشين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات باغرب الطرق ، وكان الرجل يتبع خاطفه فى سكون وخشوع ، والويل له ان ابدى مقاومة أو تحرك لسانه طالبا النجدة ، فانه ان فعل استقر خنجر الفداوى فى قلبه ، وكان اذا غاب احدهم ساعة عن اهله تحققوا انه قد خطف وقتل فيقيمون عليه الاحزان ، وصار الناس يلبسون الدروع تحت الثياب مخافة الفدائية ، وكان من دهائهم تعليم اتباعهم المهن كالطباخة والحلاقة والخياطة ودسهم فى بيوت الامراء يقومون فيها بالخدمة والجاسوسية . يقال إن أحد السلاطين ارسل يوما الى شيخ الجبل يدعوه الى الطاعة والكف عن ايذاء الناس . فقال الشيخ للرسول: أتخلصون انتم لسلطانكم؟ فاجابه كلنا نفتديه . فقال له قل لسيدك موعدنا يوم كذا ، وقل له أن يضم الى مجلسه أخلص المخلصين له ، وكان عند السلطان غلامان لايطيق فراقهما لحظة ، فلما حل اليوم اقبل الشيخ فى قلة من أصحابه مدججين بالسلاح لجعل يحادث السلطان فقال السلطان للشيخ سألت عن اخلاص قومى وكفايتهم ، وانى مريك الآن مالم تره ، وكان المجلس غاصا بالقواد والوزراء ، فرمى السلطان بخنجره من شرفة المكان الى الوادى، فترامى القواد لاحضاره فهلكوا جميعا . فقال الشيخ نعم القوم قومك . فقال السلطان وهل انت على مثل ذلك من قومك ؟ قال لى كلام اقوله لمولانا فى خلوة . فاخرج السلطان كل من كانوا عنده عدا الغلامين ، فنظر اليهما الشيخ وقال يا عبدى مولانا اذا قلت لكما إن مولاكما هذا يهدد شيخكما ويفسد عليه أمره، فماذا تفعلان به ؟ فاستلا سيفيهما ولوحا بهما على رأس السلطان وقالا نقتله ، فدهش السلطان وحار فى امره ثم التفت الى الشيخ يقول انصرف فانت فى حل مما تفعل . . .

وقد توفى الحسن بن الصباح عام ٥١٨ هـ وتولى الزعامة بعده نحو سبعة من الرجال تجد ترتيب زعامتهم فى دائرة المعارف الاسلامية مادة Assassin وقد ظلت الزعامة فى طائفة الحشاشين قائمة فى قلعــــة آلموت حتى ٦٥٤ هـ أى نحو قرنين لم يطل لهم فيهما شر ، ولم يكفوا فى اثنائهما عن أذى الى جانب افساد الاخلاق بتعاطى الحشيش وتحليل المنكرات واباحة الملذات

وكان من أكبر دعاتهم فى افريقية رجل خرج من صنعاء يقال له ابو عبد الله أحمد بن محمد بن زكريا ، ويعرف بالشيعى يبث الدعوة

للمهدى . اما مصر فلم يكن لهم فيها حوادث أو وقائع ، اللهم الا تلك الخزافات يرويها الناس عنهم كقصة الشاطر حسن وشيخ الفداوية . أما القبة الموجودة الآن فى العباسية والتى يزعمون انها للفداوية فقد كانت قبة للصلاة بناها الأمير يشبك بن مهدى الداودار عام ٨٨٤ فى ولاية السلطان قايتباى ، وقد تداعت فرممها الامير حسين كتخدا ثم رممها ديوان الاوقاف الخيرية عام ١٣١٧ هـ فى عهد محمد توفيق باشا

ولا يزال للاسماعيلية الى وقتنا هـــذا صوت كدبيب النملة ، وزعيمهم اغاخان الذى عرف واشتهر بوفرة ماله لا بزعامته لتلك الطائفة الموزعة بين الهند وفارس . والظاهر أن القوم قد غيروا ما عرف به سلفهم من قبيح العادات والتقاليد ، والا لما استطاعوا الاقامة بين الحكومات التى تنبهت وتوصلت الى طرق من الرقابة على الناس مباشرة ، وقد انصرف القوم عن نشر دعوتهم واكتفوا بعقيدتهم والحياة فيما هم فيه من يسر البيع وربح التجارة ، وما كان القرن العشرون ليتسع لمثل دعوتهم

ذلك شأن الاسماعيلية عامة والحشاشين خاصة ، وتلك مكانتهم التاريخية طول أيام الدولة العباسية ، وهى وان كانت مكانة لا يحسدون عليها لما قامت عليه من شر ونكر الا أن التاريخ سجل يحفظ بين طياته حوادث الايام والناس لا يفرق بين مخازيها ومفاخرها . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ؟

محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

« تم البحث »

حول الشاعر كورنى

عزا الدكتور الفاضل حسن صادق فى مقاله عن كورنى ضعف رواياته الأخيرة الى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهــــرم ، والحقيقة أن كورنى بالغ فى مبدئه الذى يعنى بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا فجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول ، وذلك على ما أرى كان السبب الأول فى سقوط رواياته

وقد جاء فى المقالة أيضا : قال فولتير « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة: جميل . جليل . الاهى » وهذه الكلمات على ماجاء فى كتب الأدب الفرنسية قيلت فى راسين لا فى كورنى ، وذلك أقرب الى العقل لأن فولتير كان يعجب بمبدإ راسين الذى يريد تحليل نفس الانسان

كتاب النثر الفنى

حضرة الاستاذ محرر الرسالة :

قرأت فى باب النقد من العدد الماضى مقال الاستاذ الجليل احمد امين فى نقد كتاب « النثر الفنى فى القرن الرابع » وسرنى أن أظفر من مثل هذا الباحث المفضال بمثل ذلك الثناء ، وقد رأيت من باب الدعابة أن أعد سطور ذلك المقال . فرأيت خمسة منها تمهيدا ، وخمسة وستين فى نقد طريقة المؤلف فى الحديث عن نفسه ومصاولة ناقديه ، وثلاثة عشر فى نقد هندسة الكتاب ، ثم رأيت مع السرور الفائق ثمانية عشر سطرا كلها ثناء صرف على المؤلف وعلى الكتاب ، ومن النادر أن يظفر مؤلف بثمانية عشر سطرا كلها ثناء على كتاب جديد من رجل كالأستاذ احمد أمين

وكتابى كما تعلمون يقع فى نحو ثمانمائة صفحة ، وملام الاستاذ احمد امين لا ينصب على أكثر من صفحتين يمكن حذفهما بسهولة فى الطبعة المقبلة ان شاء الله

ويقول الاستاذ :

« وانى وإن احترمت الكتاب من الناحية العلمية والعقلية فانى ناقده من جهة الذوق »

ثم أشار الى كلمات وهوامش جمح فيها القلم ، وهو ينقد بعض العلماء ، وصح لدى بعد التأمل أن مجموع ذلك لا يزيد عن عشر كلمات سأحذفها فى الطبعة المقبلة ، لأنها ضربت أذنى وانقبض منها صدرى كما ضربت أذن الاستاذ وانقبض منها صدره

وعجب الاستاذ من أن يرانى قاسيا فى بعض النقد ، ولطيفا لبقا فى البعض الآخر ، وتمنى لو يعرف لم كنت لطيفا لبقاهنا ، وقاسيا صارما هناك ؟

وتفسير ذلك سهل : فان الادب يأخذ وقوده أحيانا من الاعصاب والأحاسيس ، وقد تمثل للنفس ظلال من إحدى المعارك الأدبية فتثور وتعصف ، وتمضى حينا فى هدوء فلا يفيض عنها غير اللباقة واللطف

والى حضرة الاستاذ تحيتى واحترامى

زكى مبارك

كما هو لا كما يجب أن يكون ، أكثر من اعجابه بمبدإ كورنى الذى تعرض له فى بعض كتبه بالنقد اللاذع ؟

صلاح الدين وصفى

اخوان الصفا والاسماعيلية

للاستاذ اديب عباسى

علاقتهم بالاسماعيلية ـ تشيعهم ـ دعوتهم الى الامام المنتظر

يقول كازنوفا المستشرق الفرنسى الكبير ما معناه :

« إننى على أتم الثقة من أن آراء إخوان الصفا هى برمتها آراء الأسماعيلية . ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الأمام الذى سوف يملأ الأرض سعادة ، وقد اتهم القرامطة والحشاشون من قبل اعدائهم بالكفر ، ولكن ليس لهذه التهمة ظل من الحقيقة . فان الرسالة الجامعة (١) ، وهى خلاصة هذه الفرق ، ليس فيها شيء من ذلك . فمذهب الاسماعيلية وماتفرع منه هى فى أصلها بريئة من كل ما نسب اليها ، وأكرر القول هنا بان النزعة التى تسود آراء الاسماعيلية هى الاعتقاد بوحدة الكون (البانتيزم) . وهو مذهب يقاوم الألحاد وإنكار الخالق مقاومة عنيفة

« والنتيجة التى انتهيت اليها هى أن هذه المذاهب هى مثل من أمثلة التاريخ التى تبين كيف ان المذهب يكون نقياً ، ولكن فى أيدى ذوى الاطماع يصبح آ لة للفتك والتدمير » (نيكلسن ص ٣٧١)

نقلنا هذه القطعة عن المستشرق الفرنسى لكى نبين أننا لانسيء الى إخوان الصفا إذ ننسبهم الى الاسماعيلية ، ولكن ماهى طبيعة هذه النسبة وماهو مقدارها ؟ هذا ما يجيب عنه اوليارى بقوله « هناك مايغرى بالظن فى أن حركة الأخوان كانت حركة اصلاح من جانب بعض الاسماعيلية الذين ارادوا الرجوع الى تعاليم الاسماعيلية القديمة » (٢) وأول ما يلحظ من اوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا الاسلوب الذى جروا عليه فى نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم وهو اسلوب الاسماعيلية المعهود ـ اسلوب التدرج فى بث الفكرة والتلطف فى عرضها على الناس . فاخوان الصفا كالاسماعيلية يوصون « بأنه ينبغى لمن حصلت له هذه الرسائل من اخواننا الكرام ان يدفع منها الى كل من يستحق ما يقرب من فهمه ، وما يعلم انه يصلح له أو يليق بمرتبته أولا فأولا . فكلما ارتفعت نفسه فى العلم الى درجة درجة وانتهت الى مرتبة مرتبة فى المعرفة رقى الى ما بعدها ورفع الى ما يتلوها (ج ٤ ص ٢٨٨)

ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقا كليا فى مذهب الحلول . فهو فى رسائل الاخوان كما فى تعاليم الاسماعيلية المحور الذى تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم (١)

ووجه آخر من أوجه التشابه هو تفسير القرآن تفسيرا غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ . وهذا الاسلوب هو أسلوب الباطن الذى جرى عليه الشيعة ومن تفرع منهم . واليك ما يقوله ا وان الصفا فى هذا الشأن : ـ

« واعلم أن للكتب الألهية تنزيلات ظاهرة وهى الالفاظ المقروءة المسموعة . ولكن لها تأويلات خفية باطنة : وهى المعانى المفهومة المعقولة . . . وفى استعمال احـكامها الظاهرة صلاح للستعجلين فى دنياهم ، وفى معرفتهم اسرارها الخفية صلاح لهم فى امر معادهم . » (ج ٤ ص ١٨٩)

هذه بعض أوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا من حيث المعتقد وطرائق النشر والدعاية . على ان ثمة وجهين آخرين للشبه بينهما : وهما التشيع لآل البيت والدعوة الى الامام المنتظر أو المهدى . أما أمر التشيع فظاهر من قولهم : ـ

« ومن الناس طائفة ينسبون الينا اجسادهم وهم براء منا ويسمون انفسهم العلوية وماهم من العلويين ، ولكنهم فى أسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد ، ولا من القرآن الا اسمه ، ولا من الاسلام الا رسمه (ج ٤ ص ١٩٥) . وهم لايذكرون الأمام الا مقرونا بأفخم النعوت كقولهم » وايضا من الآراء الفاسدة رأى من يرى ان بارئه والاهه روح القدس قتله اليهود . .

(١) الرسالة الجامعة هى خلاصة رسائل اخوان الصفا . وفيها تظهر أغراضهم بجلاء ووضوح تامين ، فكل ماتقدمها من رسائل كان شبه مقدمات لها . وقد اعتمد المستشرق كازنوفا على هذه الرسالة (وهى خطية نادرة) فى اثبات صلة اخوان الصفا بالإسماعيلية على اننا لدى مطالعتنا رسائل الاخوان ، وجدنا فيها مايثبت هذه الصلة دون الاحتياج الى هذه الرسالة الجامعة .

(٢) يعتقد كولد زيهر أن رسائل اخوان الصفا كانت الاساس الذي بنيت عليه معتقدات الاسماعيلية Nohannad I & Haw الا اننا نرجح رأى اوليارى لاسباب لامجال لذكرها هنا . ص ٢٦٤

(١) يقول مكدونلد : انه مما يثبت علاقة اخوان الصفا بالاسماعيلية ومن تفرع منهم وجود قسم من رسائلهم فى كتب الحشاشين المقدسة . ويقفى على ذلك بقوله يجب الايظن بان الحشاشين لم يكونوا الافة دأبها السلب والتقتيل • لأن الواقع يثبت انهم درسوا العلوم درسا لابأس به (ص ١٦٩ ····Muslim Theslogy)

وهكذا ايضا حكم من يرى ويعتقد ان الامام المنتظر الفاضل الهادى مختف لايظهر من خوف المخالفين » (ج ٤ ص ٧٦ - ٨٧)

ومثله قولهم : « واعلم يا أخى أن أقوى ما يكون فعل الهيس فى دور الشهر (دور الشهر فى مصطلحات الشيعة هو الزمن الذى لايكون فيه إمام . وهو الفترة بين الامام الواحد والذى يليه) . وذلك لأن حجة الله على أرضه وخليفته على عباده يكون مختفيا مستوراً ، وان كانت انواره تضىء فى نفوس العارفين به » (ج ٤ ص ٢٥٥)

ماتقدم لا يدع مجالا للشك فى تشيع إخوان الصفا وإيمانهم بالامام المنتظر . ولكن لنا ان نسأل هل وقف اخوان الصفا عند حد النظر من الايمان بالأمام المنتظر أو هم تخطوا ذلك الى بث الدعوة له والتعريف به ؟ نعتقد ان فى القطعة التالية ايضاحاً لذلك وذلك حيث يقولون : —

« وقد أخذناك ايها الأخ لأمر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين . فكن واثقاً بما اخترناك ، وسر على بركة الله وحسن توفيقه ، متوكلا عليه فى نصرته وتأييده الى أخ من اخواننا الفضلاء ، وتلطف فى الوصول اليه وبشره بما القيناه من الاسرار فى شأنه . : وعرفه بان اخوانه الذين وجهوك اليه لهم مجلس يجتمعون فيه يتذاكرون العلوم ويتحاورون الأسرار . فتذاكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الأيام وتغيرات الزمان وماتدل عليه دلائل القرآن من تغيير شرائع الدين والملل ، وتنقل الملك والدول ، من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ، ومن اهل بيت الى اهل بيت(١) وقد إعتبرنا بهذه الوجوه التى ذكرناها حتى عرفنا (صاحب الأمر) بصفاته والسنة والشهر الذى يكون فيه الحادث (ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٥)

ما تقدم لايدع مجالا للريب فى أغراض اخوان الصفا السياسية ، وهى نشر الدعوة واعداد الأفكار لظهور أحد المهديين ؟

(١) قد يكون المعنى فى كلام اخوان الصفا الفاطميين ، فقرائن الاحوال تدل على انه كان لاخوان الصفا صلة بهم ، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد هذه الصلة تحديداً قاطعاً . وأحب أن لايغيب عن ذهن القارىء ما ذكرناه من قول ابن تيمية أن رسائل الأخوان صنفت قريبا من بناء القاهرة

(الرسالة) نلاحظ على الاستاذ هنا وفى المقال الماضى أنه أخطأ المقصود من قول ابن تيمية صنفت قريبا من بناء القاهرة ، فانه يريد صنفت قريبا من زمن بناء القاهرة أي سنه ٣٥٨ هـ لا قريبا من مكانه

بين المعرى ودانتى

بقلم محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

فى سماء الأدب العربى تتألق رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى . وفى سماء الأدب الطليانى تتألق الكوميدية المقدسة لشاعر الطليان دانتى اليجيرى Dante alighieri وفى كل منهما خيال يقرب من الخيال الآخر حتى ظن كثير من الأدباء أن شاعر الطليان سرق شاعر العرب . وأن خيال المعرة انتقل الى فلورنسا . وسواء لدينا أسرق دانتى فكرة المعرى أم هى المصادفة أتاحت لكل منهما ما أتاحته للآخر ، ففى كل من الروايتين حوار مع أهل الجنة ومع أهل النار ، وفى كل منهما رحلة فى دركات الجحيم وفى طبقات الجنة ، سنعرض لذلك كله بالموازنة والتحليل ما اتسعت لنا صفحات الرسالة الغراء .

التعريف بالشاعرين

فى سنة ٩٧٣م ولد أبو العلاء المعرى وفى سنة ١٠٥٩ انتقل الى قبره بعد أن عمر ستة وثمانين عاما ، ولم يكد يناهز الرابعة من عمره حتى أصابه الجدرى فذهب بعينيه .

وكأن الله أراد أن يعوضه عما فقده من حاسة البصر ، فرزقه حافظة تعلق بها الكراريس العدة اذا تليت عليها مرة واحدة

وكأنى به استوعب ما احتوته قريته المعرة من العلوم والمعارف فرحل الى العواصم الاسلامية يرتشف منها مناهل العلم ، فزار حلب وانطاكية وطرابلس الشام واللاذقية وبغداد . الى ان بلغ من العمر سبعة وثلاثين ، فزهد فى الدنيا واعتزل الناس فى منزله بالمعرة . وقضى بقية حياته رهين المحبسين : العمى والمنزل . فأوحت اليه عزلته ماظهر فى لزومياته وفى رسالة غفرانه

وأما دانتى فولد فى سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٢١ بعد أن عاش ستة وخمسين عاما

ولقد كان جده كاتشا جويدا Cacciaquida يحارب المسلمين فى صفوف الصليبيين لاغتصاب بيت المقدس تحت إمرة الامبراطور كوناردو الثالث . وكأنى به اشتد على المسلمين فى حربه ، فأنعم عليه ذلك الامبراطور بلقب Cavaliere ، فأما والده فقد كان من غمار الناس

ودهمائهم لم يترفق بدانتي حينما توفيت أمه بل تزوج امرأة تدعى لابا أذاقته آلام الحياة وهو في عهد الطفولة ، حتى إذا اشتد ساعده قليلا هرع الى مدارس الفرنشسكان يتعلم الدين وقليلا من الهندسة والحساب، متلمذا للقديس فرانشسكو دي أسيزي ، ولا زال يتشرب بروحه وتعاليمه حتى أدركه دور المراهقة فوقع في أشراك من الغرام امتدت نحوه من الفتاة بياتريشي تلك التي الهبت شاعريته ، وكان لها أثر كبير في كوميديته المقدسة، ثم توفيت تلك الحبيبة في سنة ١٢٨٩ فزادت آلامه . غير أن نجمه بدأ يتألق في سماء السياسة فاختير عضوا من ستة أعضاء يحكمون في مدينة فلورنسا التي كانت تعصف بها الحروب الأهلية . ولأمر ما اغتاظ منهم البابا بونيفاشيو Bonipakio فسلط عليهم شقيق ملك فرنسا كارلو دي فالوا فأخذ مدينتهم ، وفر دانتي مع الهاربين بعد أن حكموا عليه بالموت حرقا سنة ١٣٠١ ، ولولا ذلك الهرب لنفذوا فيه حكمهم . ثم صادروا أملاكه ونفوا ولديه جاكرو ويترو Pietre ولا زالت البلاد تتقاذفه حتى مات شريدا طريدا سنة ١٣٢١ بعد نفي قارب العشرين عاما

أسباب تأليف الروايتين

فأما رسالة الغفران فهي رد على رسالة ابن القارح التي أرسلها الى المعرى

وابن القارح هو على بن منصور الحلبي ، ولقبه دوخله ، خدم أبا على الفارسي في صباه وقرأ عليه بعض كتبه ، ثم جاء الى مصر يؤدب ولدى الحسين بن جوهر القائد بمصر . وكان له شعر من نوع ضعيف كمدحته للحاكم بأمر الله الفاطمى التي يفتتحها بقوله

ان الزمان قد نصر بالحاكم الملك الأغر

وكان فيه شيء من ذكاء . وشيء من دعابة . أملت عليه دعابته أن يرسل لأبي العلاء رسالة فيها لهو ، وفيها سخر ، وفيها حوار للشعراء والمتزندقين والمتالهين . وفيها أسلوب معرى يكثر من ذكر الآيات القرآنية يوردها أدلة على ما لا تدل عليه الا قليلا ، أو من طريق بعيد ، أو لا تدل عليه بالمرة . وفيها كثرة الجمل الاعتراضية بالدعاء للمخاطب والاسهاب في الرضى والترحم وفي اللعنة ، مما لم نعهده في كتاب غير رسالة الغفران وغير رسالة ابن القارح تلك التي بدأها بقوله « كتابي أطال الله بقاء مولاي الجليل، وجعلني فداءه على الصحة والحقيقة ، وليس على مجاز اللفظ ، ومجرى الكناية ،

ثم يروى عن صاحب الزنج أنه خطب في زنوجه قائلا : « انكم قد اعتنم بقبح منظر ، فأشفعوه بقبح مخبر . اجعلوا كل عامر قفرا ، وكل بيت قبرا . » ثم يروى لأبي العلاء أن رجلا دفع الى صديق له جارية وأودعها عنده ثم ذهب في سفره . فقال المودع لديه بعد أيام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه . يا أخى ذهبت أمانات الناس : أودعني صديق لى جارية في حسابه أنها بكر . . فجربتها فاذا هي ثيب ! . ثم يعيب على الرواة تصحيفهم قول على كرم الله وجهه تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج ، كما تحدث المعرى عن الرواة وتصحيفهم وتحريفهم .

ثم تحدث عن المتنبي ، وأنه كان مغرما بتصغير كلماته فصغر أهل الزمان حينما قال

أذم الى هذا الزمان أهيله

فأنحى عليه باللائمة فقال ، وما يستحق زمان ساعده بسيف الدولة أن يطلق على أهله الذم ، ثم تحدث ابن القارح عن المتنبي وعن سجنه في بغداد فقال : « إن المتنبي أخرج من الحبس في بغداد الى مجلس أبي الحسن على بن عيسى الوزير رحمه الله ، فقال له : أنت احمد المتنبي ؟ قال أنا أحمد النبي . ثم كشف عن سلعة على بطنه وقال : هذا طابع نبوتى وعلامة رسالتى . ثم تحدث عن ابن الرومى وعن طيرته . وعن أبي تمام ، وأن الحسن بن رجاء بلغه أنه لا يصلى ، فوكل به من يلازمه فلم يره صلى يوما واحدا فعاتبه ، فقال يا مولاى : قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ، ولم أره يثقل على . فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعني وتركها يضرني ما تركتها : قال الحسن : فأردت قتله فخشيت أن يحمل على غير هذا فتركته

ثم تحدث عن الذين ادعوا الألوهية كالقصار الأعور الذى اتخذ له وجهامن ذهب وخوطب برب العزة ، والصناديقى الذى خوطب بالربوبية وكوتب بها ، وكانت له دار يجمع فيها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهن ليلا

ثم ذكر الحلاج وأنه كان يخاطب الله بقوله

ياجملة الكل لست غيرى فما اعتذارى اذا اليا

ثم تحدث عن المتزندقين فذكر بشارا وأن المهدى قتله على الزندقة . وعن صالح بن عبد القدوس وأن المهدى قتله لأنه قال

ولو انى اظهرت للناس دينى لم يكن لى - في غير حبسى - أكل

وذكر الوليد بن يزيد وأنه رمى المصحف بالنشاب وخرقه ، وأن

٥ ـ التفاؤل والتشاؤم

وهل لها اسباب تاريخية ؟

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

الرقم ١٣

إن كثيراً من الغربيين يعتبرون أن رقم ١٣ يحمل الويل والدمار فى طياته ، كما يعتقد المصريون فى العدد « ١١ » أما ٣ و ٧ فهما رمز السعادة عند بعض الغربيين .

ومن الغريب أن رقم ١٣ تناول العلماء وذوى الثقافة والملوك والعظماء كما سرى بين الجهلاء وتناوله بعض الحكومات ايضاً فهم يتوقون هذا الرقم فى الولائم والحفلات وبعض الفنادق وغيرها فيقفزون فى عدد غرف الفنادق وغيرها من ١٢ الى ١٤ حتى لا يتشاءم نازل بالفندق من هذا الرقم .

ويتفق فى بعض شهور السنة أن يطابق يوم الجمعة الثالث عشر من الشهر فيتطير الواهمون من هذا التطابق ويتوقعون الشرور والاخطار العظيمة ، لأن هذا الرقم دليل على الشؤم عندهم فيملأ نفوسهم رعبا فضلا عما يعرف به يوم الجمعة من النحس .

والأسرة المالكة فى انجلترا تتقى الرقم المذكور ، ومحال أن تضم المائدة الملكية ١٣ مدعواً .

وفى عام ١٩١٢ حينما دعا المستر جون وارد بخلالة ملك انجلترا الحالى جورج الخامس الى مأدبة غداء فى بستان « شلتن » كان عدد المدعوين ١٣ فجاءوا بالرابع عشر .

ومما يحكى عن ملكة رومانيا مارى انها تتشاءم من رقم ١٣ أسوة بكثير من الغربيين ، وقد حدث عند زيارتها لأهرام الجيزة ومعها كريمتها الاميرة اليانا عام ١٩٣٠ حادث يدل على مبلغ تشاؤمها من الرقم ١٣

شاهدت الملكة عمال الحفر الذى كان يديره هناك الاثرى المعروف المستر فيرث ، وعند انتهاء الزيارة دعاها الى الغداء وما كادت الملكة مارى تستعد للجلوس على المائدة حتى شاهدت ان عدد المدعوين ١٣ فاكفهر وجه الملكة فجأة ، واعتذرت بالمرض الا ان المستر فيرث أدرك حقيقة الامر بسرعة خاطره فبادر بأصلاح هذا الخطأ ودعا ضابطا مصريا ظريفا للجلوس على المائدة حتى يكون العدد ١٤ فلم تتردد الملكة عندئذ فى قبول الدعوة .

وكان امبراطور المانيا السابق غليوم يحذر هذا الرقم ويتشاءم منه ، ويقال انه رفض ان يعلن الحرب عام ١٩١٣ لأن السنة تنتهى بالرقمين المشؤومين .

وكان بسمارك Bismatk يكره الخرافات الا انه كان يبغض الرقم ١٣ بغضا عظيما ، وما حاول ان يهم بأمر ذى بال فى يوم ١٣ من أى شهر ، وكذلك المستر تشرشل الوزير الانجليزى وهو سليل آل مرلبورو أعرق الأسر الانجليزية نسبا .

ولكن الرئيس ويلسون يعتقد ان الرقم ١٣ هو عدده الجالب لليمن والسعد ، ومن دلائل حب الرئيس ويلسون للرقم ١٣ أنه وصل الى ثغر برست بفرنسا يوم الجمعة ١٣ ديسمبر عام ١٩١٨ ليحضر مؤتمر الصلح وانه أودع ٢٦ فقرة (٢ فى ١٣) وأتمها يوم ١٣ فبراير سنة ١٩١٩ ودعا لمائدة عيد ميلاده ١٣ مدعوا فقط .

ولم يكن الرئيس ويلسون بالرجل الوحيد الذى أحب هذا الرقم ، فان المستر لويد جورج رئيس حزب الاحرار بانجلترا وقف عام ١٩٢٤ فى حفلة انتخابية وقال ان الرقم ١٣ هو رقمه المحبوب .

الحجاج كانوا يطوفون بالكعبة فيتبرأون (لبيك اللهم لبيك : ياقاتل الوليد بن يزيد)

ثم ذكر أبا عيسى بن الوليد ، وأنه برم بشهر الصيام ونذر الا يعود الى صومه فقال :

دهانى شهر الصوم لا كان من شهر
ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر

ثم يختم ابن القارح رسالته بأنها استحسنت منه وكتبت عنه .

ثم يسأل المعرى ان يجيب عنها ليذيعها فى حلب وغيرها من الآفاق فيبطىء المعرى فى الرد ثم يجيب بأنه كفيف البصر مستطيع الكتابة بغيره ، ان غاب الكاتب فلا املاء .

ثم يبدأ الرد سالكا سبيلا عبدها له ابن القارح . وأثار من نفسه حنينا للسير على منهاجها ، والاتجاه مع تيارها . ولكن المعرى أرانا أفانين من الخيال ، واطلاعا فى اللغة وفى التاريخ ، عما لا يمثل به ابن القارح الا كما تمثل الذرة بالجبل ، أو الحلقة فى الفلاة .

يتبع

ودعا احد رجال الاعمال بانجلترا بعض خلانه ليتناولوا معه طعام العشاء، فلما جلسوا الى المائدة فطن أحدهم الى ان عددهم ١٣ فتشاءموا وارسلوا الخدم فى اصطياد أى رجل ليأكل معهم، ولم يتناولوا الطعام حتى انتظموا على المائدة أربعة عشر

ويتشاءم المركيز نيجرو توكيباوو العضو الايطالى فى صندوق الدين برقم ١٣ تشاؤما كبيرا، ويروى عنه قبل شيوع السيارات أنه كان يمتنع عن ركوب مركبة رقمها ١٣ أو مؤلفة من مضاعفات ١٣ كأن يكون رقمها ٢٦ مثلا أو ٣٩ الخ . . .

وحدث لما زار الدكتور أميل لدويج الكاتب والمؤرخ الالمانى الشهير القطر المصرى أن أدب له أحد الاصدقاء مأدبة عشاء ودعا اليها ١٤ شخصا، وفى آخر لحظة تخلف أحدهم عن الحضور فأبت سيدتان أن تجلسا الى المائدة لان عدد المدعوين أصبح ١٣ فجيء بمائدة صغيرة ووضعت على مقربة من المائدة الكبيرة، وجلس اليها اثنان من المدعوين لكى يصبح عدد الآخرين ١١

ويرد الباحثون فى الضائقة الاقتصادية التى غشيت العالم من أقصاه الى أقصاه الى أسباب شتى الا أن أحدهم فى نيويورك قال ان السبب فى ضائقة عام ١٩٣٠ هى عام ١٩٣٠ نفسه وحجته الدامغة هى أن مجموع أرقامه ١٣، ولكن مرت سنوات وما تزال الازمة المالية باقية حتى الآن . ولكى يزيد الجمهور أقتناعا وبرهانا بتأييد ذلك رجع الى سنى الضنك المشهورة فى القرن الحالى فاذا هى كما يلى

سنة ١٩٠٣ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩١٢ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩٢١ ومجموع أرقامها ١٣، سنة ١٩٣٠ ومجموع أرقامها ١٣

ولكن هدىء روعك أيها المتشائم فسوف تمر ٩٦ سنة قبل أن تأتى سنة أخرى مجموع أرقامها ١٣ وهى سنة ٢٠٢٩ .

ومن الشواهد التى يستندون اليها أن كلا من نابوليون بونابرت وهنرى الرابع ولدا فى ١٣ من الشهر، فنفى نابليون فى مثل هذا اليوم وقتل هنرى الرابع أيضا فى مثله

وتمتنع الاسر الافرنجية بتاتا عن سكنى المنازل المرقومة بالعدد ١٣ ولا يستأجر الامريكى غرفة رقمها هذا الرقم فى أى فندق أو باخرة .

وقد اتفق مدير وبعض المستشفيات على حذف رقم ١٣ من مستشفياتهم، فهم لا يضعونه على غرفة لمريض اوسرير خشية تأثر المريض من الوهم الناشىء عنده من التشاؤم. وشوهد فى ايطاليا ان الفنادق لا تضع ذلك الرقم على الغرف، وذلك لتذمر المسافرين وامتناعهم عن النزول فى الغرف التى يوجد بها الرقم المذكور، وادارة سكة حديد لندن والشمال الشرقى قد الغت هذا العدد من مركبات النوم .

وادرك الوهم اصحاب البواخر فوضعوا عدد A١٢ بدل ١٣ منها يثبت أن الناس اصبحوا يخشون الرقم المذكور حتى أن احد الشوارع لا يحمل رقم ١٣ وأن حكومة فرنسا اذا وضعت الارقام على المنازل ووصلت الى المنزل الذى ينبغى أن يوضع عليه الرقم ١٣ لا تكتب عليه هذا الرقم وأنما تضع عليه رقم ١٢ والى جانبه لفظة مكرر تخلصا من شؤمه .

ووقف احد المجرمين امام القاضى فقال اقسم ان شؤم عددى هو الذى يسوقنى هنا دائما، فسأله القاضى وما ذلك الرقم ؟ قال ما وقفت متهما الا وكان المحلفون ١٢ والقاضى واحدا وما الـ ١٢ والواحد إلا ١٣ وهو الرقم اللعين . . .

ولكن هناك حوادث أبدل النحس فيها بالسعد، ولو ان الرقم ١٣ كان موجودا. فقد اتفق اخيرا ان وقع بناء مدخنه داخل احد منازل مدينة بريتون، وكان فى المنزل ثلاثة عشر ساكنا فلم يصب أحد منهم بسوء، مع ان قطع الحجارة وجدت على الوسائد بجوار النائمين .

واشترى بعضهم منزلا فلما رأى ان رقمه ١٣ جعله ١٢ وما مر يومان حتى سرق المنزل برغم العدد السعيد الميمون مع انه ما سرق يوم كان شؤما

وقد عمدت احدى السفن الكبرى الى وضع علامة ١ بجوار العدد ١٢ للدلالة على الغرفة رقم ١٣ وبذلك تريح فكر المسافر الذى يكون نصيبه تلك الغرفة .

وقد علل الكاتب الاجتماعى الانجليزى هـ . ج . ولز H. G. Wells شؤم هذا الرقم « بأنه لا يقبل القسمة » على حين ان غيره من الارقام التى قبله أو بعده تقبل القسمة، وبعبارة أخرى تقول ان الانسان الاول كان ردىء الفهم فى الحساب لا يعرف الكسور، ثم هناك أشياء لا يمكن كسرها فاذا كان عدد السبايا ١٣ حدثت المشاجرات بين افراد القبيلة من أجل امرأة تزيد فى حظ احدهم أو تنقص، فى حين ان الارقام الاخرى لم يكن فيها ذلك.

ويقال إن الخرافات التى نسجت حول الرقم ١٣ مصدرها عشاء السيد المسيح الاخير مع تلاميذه الاثنى عشر، وجلسوا على مائدة واحدة فكان مجموعهم ثلاثة عشر، وكان واحد من التلاميذ خائنا هو يهوذا الاسخريوطى الذى سلمه. لذلك كان الناس يتشاءمون من الجلوس ثلاثة عشر شخصا على مائدة واحدة، لأن ذلك نذير شؤم بسوء أو موت يقع لأحدهم خلال سنة على الاكثر، ثم سرى التشاؤم من الرقم ١٣ حتى شمل كل شىء ولم يقتصر على مائدة الطعام.

الهلال

جميع الامم تقريبا تتفاءل بالهلال الجديد، وكثيرا ما يرى الناس فى مصر وغير مصر قد تهللت وجوههم استبشارا لرؤية الهلال فى أول الشهر القمرى وهم يدعون الدعوات

وان العامة فى مصر يتناولون قطعة من العملة الفضية ويديرونها نحو الهلال لأول ولادته تيمنا، ولا يصنعون مثل ذلك فى الذهب لانهم يتطيرون به، وهكذا يفعلون فى الشام ويزيدون عليه ان يتمتم الواحد بعبارة مثل قوله «يهلك ويبتهلك، ويجعلك علينا شهرا مباركا».

وفى انجلترا يتشاءمون من النظر الى الهلال المولود حديثا من وراء زجاج النوافذ.

والمرجح ان الانسان الاول كان يعتقد انه اذا ظهر القمر جديدا وجب عليه ان يخرج الى العراء للترحيب به بوسائل كانت معروفة عنده وكان لا يلزم منزله وينظر اليه من ثقوب الجدران والاعوقب على ذلك.

وأن الانسان نظر الى القمر من زمان بعيد نظرة التفاؤل والاستحسان، والانسان الاول معذور فى تفاؤله بالهلال الجديد اذ هو يعيش فى خطر المداهمة والغارة، فالهلال يكشف له عن ظلمات الليل ويؤمنه بعض التأمين، لذلك كان القمر من اقدم الالهة التى عبدها الناس بل اقدمها. وان العرب اشتقوا لفظة تهلل من الهلال، ولا نزال نرى كثيرا من الاعياد حتى الاعياد المسيحية تقرر تبعا لأوجه القمر؟

«تم البحث» — ابراهيم تادرس بشاى

٢ — بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

تكلم الأستاذ فى المقالة الأولى عن الحال السياسية والأدبية فى القرن الرابع، وعن أسرة بديع الزمان وسيرته الى أن رحل الى نيسابور

وقد وقع خطأ مطبعى أثناء ترتيب المقالة فوضعت الأسطر من الثالث الى الحادى والعشرين من صفحة ٥٠١ النهر الأيمن فى غير مكانها، وكان ينبغى أن توضع بعد السطر التاسع من النهر الأيسر فى الصفحة نفسها

فهذا الاسماعيلى هو، فيما يظهر، أحد هؤلاء الاسماعيلية الذين أكرموا مثواه فى جرجان.

وفى رسالة الى أبيه يقول: «وقد كان رسم أن أعرفه سبب خروجى من جرجان، ووقوعى فى خراسان، وقد كانت القصة أنى لما وردت من ذلك السلطان حضرته التى هى كعبة المحتاج. لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام، لا مشعر الحرام، ومنى الضيف لا منى الخيف، وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة، وجدت فيها ندماء من نبات العام، اجتمعوا قبضة كلب، على تلفيق خطب، ازعجنى من ذلك الفناء، وأشرف بى على شرف الفناء، لولا ما تداركنى الله بجميل صنعه وحسن وقعه، ولا أعلم كيف احتالوا، وما الذى قالوا، لكن الجملة ان غيروا السلطان وأشار على اخوانى، بمفارقة مكانى، وبقيت لا أعلم أيمنة أضرب أم شآمة، ونجدا أقصد أم تهامة،

ولو كنت من سلمى أجا وشعابها لكان لحجاج على دليل

قد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه. وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه. فليس بين رضاه والسخط عرجه، كما ليس بين غضبه والسيف فرجه

. . . .

ونظرت فاذا أنا بين جودين، اما أن أجود بباسى، وإما أن أجود براسى، وبين ركوبين إما المفازة وإما الجنازة، وبين طريقين: إما الغربة، وإما التربة، وبين فراقين: إما أن أفارق أرضى أو أفارق عرضى، وبين راحلتين إما ظهور الجمال، أو أعناق الرجال، فاخترت السماح بالوطن، على السماح بالبدن، وأنشدت:

اذا لم يكن الا الاسنة مركباً فلا رأى للمضطر الا ركوبها»

ولست أدرى من هذا السلطان. وأحسبه فخر الدولة ابن

بويه ، وأما شمس المعالى فلم يكن سلطانا فى جرجان ذلك الوقت

فى نيسابور

ورد نيسابور فكتب الى ابى بكر الخوارزمى ، وهو شيخ أدبائها وأحد أغنيائها . أنا لقرب الاستاذ أطال بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح للقائه ، (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه ، (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج بمرآه (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصبتى العراق وخراسان ، بل ما بين عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيف فى بردة جمال ، وجلدة حمال

رث الشمائل منهج الأثواب   بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو أيده الله ولى انعامه ، بانفاذ غلامه ، الى مستقرى لأفضى اليه بسرى ، إن شاء الله تعالى ،

ويؤخذ من كلام البديع أنه ذهب الى دار الخوارزمى فلم يحسن لقاءه ، أو لم ترض نفس الهمذانى بهذا اللقاء فكتب اليه ، الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه ان وجده يضرب اليه آباط القلة فى اطمار الغربة فأعمل فى رتبته انواع المصارفة ، وفى الاهتزاز له أنواع المضايقة من إيماء بنصف الطرف ، واشارة بشطر الكف ، ودفع فى صدر القيام ، عن التمام ، ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت تربيته صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ، ولم آل له عذرا ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الاسمال ، اتقزز صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة ، لوجد منال البشر قريبا ، ومحط الرحل رحيبا ، ووجه المضيف خصيبا ، ورأى الاستاذ ابى بكر أيده الله فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ود ، والمر الذى يتلوه شهد ، موفق ان شاء الله تعالى ، فرد الخوارزمى رداً حسنا

وسعى سعاة السوء بين الرجلين . ثم جمع بينهما الشيخ ابو الطيب فلم يحمد ذلك الاجتماع . ثم كانت بينهما المناظرة الأولى فى دار السيد أبى على أحد الكبراء فى نيسابور ، فتناظرا فى ارتجال الشعر مناظرة ظهر فيها غلب البديع وقد غضب من قطع الخوارزمى انشاده عليه فصمت برهة ، يقول الهمذانى : ثم عطفت عليه وقلت يا أبا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى ، أضعاف ما عجبوا من علمى ، وتعجبوا من عقلى ، أكثر مما تعجبوا من فضلى ، وبقى الآن ان يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عى ، وان تكلفى للسفه أشد استمرارا من طبعك ، وغرفى فى السخف أمتن عوداً من نبعك ، وسنقرع باب السخف معك ، ونفترع من ظهر السفه مفترعك ، فتكلم الآن . فقال لى أنا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته ، فما الذى أفدت أنت بعقلك مع غزارته ، فقلت : أما قولك دية أهل همذان فما أولانى ان لا أجيب عنه ، لكن هذا الذى تمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف ، من أنك شحذت فأخذت ، وسألت فحصلت واجتديت فاقتنيت ، فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله

ذهب البديع الى بيت الخوارزمى واصطلحا . ثم شاع بين الناس أن البديع غلبَ ، فكتب الخوارزمى اليه يتهمه بأنه أشاع هذا الكلام ، ويقترح مناظرة أخرى ، فكانت المناظرة الثانية فى بيت الشيخ أبى القاسم الوزير . وحضرها عظماء نيسابور ، وكانت مباراة الارتجال والترسل والنحو واللغة ، وقضى بالفلج للهمذانى فلما خرج لقيه الناس بالتقبيل ولم يستطع الخوارزمى الخروج حتى جنه الليل

وفى رسائل الهمذانى تفصيل المناظرة التى قضت له بالفلج . وينبغى الا ينسى القارىء أن هذا قول أحد الخصمين ، ولست أتهم الهمذانى بالكذب الصراح ، ولكنى لا أبرئه من محاباة نفسه . ثم ينبغى أن نتذكر أن الخصمين ليسا سواء : أحدهما شيخ طائر الصيت يخشى أن يؤخذ عليه ما ينقص من قدره ، والآخر شاب طامح الى الصيت يريد أن يبنى مجده على هزيمة قرنه ، وهو لا يخسر كثيراً إن غلب ، وهذا مظنة أن يستعظم الحاضرون ظفر البديع ولو كان قليلا وهفوة الخوارزمى ولو كانت مما يغتفر أمثالها . ثم أظن أن بعض النيسابوريين كانوا يحسدون الخوارزمى ، ويودون أن يذهب بمجده ذلك الضيف الشاب الجميل الطلعة ، الخفيف الروح .

وكان الخوارزمى ، فيما يظهر ، متكبراً ذا جفاء ، قليل الوفاء :
قال الصاحب بن عباد حين جاءه نعيه :

أقول لركب من خراسان قافل :   أمات خوارزميكم ؟ قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره   ألا لعن الرحمن من كفر النعم

ويقول أبو سعيد الخوارزمى :

بو بكر له أدب وفضل ولكن لا يدوم على الوفاء
مودته اذا دامت لخل فن وقت الصباح الى المساء

ثم لم تكن المناظرة فى صميم الأدب من الشعر والترسل ، بل كانت فى البديهة والارتجال والحفظ . قال الهمذانى وهو يتحدى خصمه : « ومثال ذلك أن أقول لك أكتب كتاباً يقرأمنه جوابه هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك أكتب كتاباً على المعنى الذى أقترح لك ، وانظم شعراً فى المعنى الذى أقترح ، وافرغ منهما فراغا واحداً . هل كنت تمده ساعداً ؟ وأقول لك اكتب كتاباً فى المعنى الذى أقول وأنص عليه ، وانشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى اذا كتبت ذلك قرىء من آخره الى أوله ، وانتظمت معانيه اذا قرىء من أسفله هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا أو تصيب نجحا ، أو قلت لك أكتب كتابا اذا قرىء من أوله الى آخره كان كتاباً ، فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا الخ » وقد أجاب الخوارزمى على هذا كله بقوله : « هذه الابواب شعبذة ، وهى ان لم تكن شعبذة فهى ليست من الادب ، وان دلت على توقد الذكاء وسرعة البديهة .

ولست اقول إن البديع ليس أعلى من الخوارزمى فى الأدب مقاما ، ولكن أقول ما غلب بديع الزمان أبا بكر الخوارزمى هذه الغلبة التى تصورها رسائل الهمذانى ويرويها الأدباء .

اغتبط بديع الزمان بنيسابور ولقى من سراتها حفاوة واكراما يقول فى رسالة الى أبيه عن صديق كان قد وعده اللحاق به : « وكان سألنى أن أرود له منزلا ماؤه روى ، ومرعاه غذى ، وأكاتبه لينهض اليه راحلته . فهاك نيسابور ضالته التى نشدتها ، وقد وجدتها ، وخراسان منيته التى طلبتها ، وقد أصبتها . وهذه الدولة بغيته التى أردتها ، فقد وردتها ، فان صدقنى رائداً ، فليأتنى قاصدا . . . وأما أنا وأخبارى بهذه الساحة فتقلب فى ثوب العافية ، موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول » (١)

وقد كتب كثيرا من رسائله الى جماعة من رؤساء نيسابور وهى تدل على ما كان بينه وبينهم من مودة . وفى نيسابور لقى بنى ميكال ومدحهم . وفى رسائله واحدة الى ابى جعفر الميكالى يشكو فيها تقصيره فى تعظيمه : « وهل كنت الا ضيفا اداه منزع شاسع ، وأداه أمل واسع ، وحداه فضل وان قل ، وهداه رأى وان ضل ؟ ثم لم يلق الا فى آل ميكال رحله ، ولم يصل الا بهم حبله ، ولم ينظم الا فيهم شعره ، ولم يقف الا عليهم شكره . . . وزحلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا . وذلك السلام اختصارا ، والاهتزاز ايماء ، والعبارة اشارة » ويقول فى رسالة أخرى اليه : « وأعرفه انى ما أطوى مسافة مزار الا متجشما ، ولا أطأ عتبة دار الا متبرما . ولست ممن يبسط يده مستجديا ، أو ينقل قدمه مستغذيا . فان كان الامير الرئيس ، أطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامع أو طامع ، فليعد للفراسة نظراً » (٢) ثم ينقلب عتابه هجاء فيقول فى رسالة الى ابن ميكال « اشهد لئن صدق البحترى فى اللامية ، لقد صدق الاعشى فى الصادية ، وإن وصف الدريدى فى المقصورة ، فلقد تغيّر الامر عن الصورة ؛ وإن كان كالآخر الأول فما أحوج الكتب الى المقراض ، وأكذب السواد على البياض — الى أن يقول : اللامية قول البحترى :

ثلاثة عجب تنبيك عن خبرى فيها وعن خبر الشاه ابن ميكال

والصادية قول الاعشى :

كلا أبويكم كان فرعى دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

يريد الهمذانى أن يقول أن بنى ميكال كانوا كما قيل فيهم ولكن هذا الرئيس من بينهم قصر عن شأوهم .

ونجد الهمذانى فى نيسابور يكتب الى الشيخ العميد مستنجزا وعده فى توليته بعض الأعمال : « فهل للشيخ أن يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار ، وسمة التكسب والافتقار ، ليخف على القلوب ظله ، ويرتفع عن الأحرار كله ، ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من أشغاله ، ليعلق بأذياله ، وليستفيد من خلاله ، فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله ، واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشترى به بماله » (٣)

وفى نيسابور أملى المقامات . وسيأتى الكلام فيها .

يتبع
عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ٩٢

(٢) الرسائل ص ٤٦ — ٤٧

(٣) الرسائل ص ٧٣

مِنْ طرائفُ الشِعْرُ

يريد الحب أن نضحك

للاستاذ ايليا أبو ماضى

تعالى نتعاطاها كلون التبر أو أسطع
ونسق النرجس الواشى بقايا الروح فى الكأس
فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا الى الناس

تعالى نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر
وما دمنا وما دامت لنا فى العيش آمال
فان مر بنا الفجر وما ايقظنا الفجر
فلا يوقظنا علم ولا يوقظنا مال

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسنا
والقى الحب فى قلبك اذ القاه فى قلبى
مشيئته وما كانت مشيئته بلا معنى
فان أحببت ماذنبك أو أحببت ماذنبى ؟

دعى اللاحى وما صنّف والقالى وبهتانه
وللجدول ان يجرى وللزهرة أن تعبق
وللاطيار أن تشتاق أيّاراً والوانه
وما للقلب وهو القلب ان يهوى وان يعشق

تعالى ان رب الحب يدعونا الى الغاب
لكى يمزجنا كالماء والخمرة فى الكأس
ويغدو النور جلبابك فى الغاب وجلبابى
فكم نصغى الى الناس ونعصى خالق الناس ؟

يريد الحب أن نضحك فلنضحك مع الفجر
وان نرقص فلنرقص مع الامواج فى النهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمرى
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجرى ؟

تعالى قبلما تسكت فى الروض الشحارير
ويذوى الحور والصفصاف والنرجس والآس
تعالى قبلما تطمر أحلامى الاعاصير
فنستيقظ لا فجر ولا خمر ولا كاس

اليـــه !

أحب ولو لم أحظ منك بنائل
وحسبى من حبى تعلل آمل
كتمت شكاتى عنك حتى حسبتنى
بما رحت ألقى فى الهوى غير حافل
وبى من تباريح الهوى ما أغادنى
بزفرة محزون وأنة ثاكل
لكم بت ظمآنا لريقك صاديا
فأوردت دون العذب مر المناهل
وقد كانت الدنيا كأرحب ما ترى
فصيرتها بالهجر كفة حابل
أعدلاً تبيت الليل جذلان هانئاً
وأقطع هـذا الليل جم البلابل
لشد الذى لاقيت من عنت الهوى
وان كان فى بردى له صبر باسل
وأقسمت لا أشكو صدودك بعد ما
تبينت أن القول فى غير طائل
فكن كيفما تبغى فلست مباليا
أأشفقت أم أثقلت بالهم كاهلى

محمد برهام

كيف تشكو ؟

كيف تشكو إلىّ زيداً وعمرا   إنما كل ما أتوه صوابُ
إن دنياك قوةٌ فكن الذئـ   ب وإلا تخاطفتك الذئاب
إن عيش القوي رغد هنيءٌ   وحياة الضعيف فيها عذابُ
لا تقل لى الضميرُ والعهد والعد   ل كلام منمق مستطاب
فارم عنك القشور وانفذ إلى اللـ
بّ يطالعك بالمفيد اللباب
فى قرار الكأس التى ضمت الشهـ
ـد تفانى سم زعاف مذاب
ووراء العيون تطفحُ بالبشـ   ـر قلوب بالغدر ملأى صلاب
فادّرع للحياة عزما من الفو   لاذ وانهد فالعيش ظفر وناب

حمص « سوريا »   وصفى قرنفلى

ذكرى العيـــد

فراقٌ الى غـــير اللقا لا يرده
بكاء ولا وجد ولا حر انفاس
ولا نظرة قبـــل الوداع افدتها
ولا دمعة تذرى لدى الراحل الناسى
حلفت يمينا بالصبابة والهوى
لقد ضيعت أوفى محب من الناس
وخلّت فؤاداً لم يخفّ لغـــيرها
طعينا ولا يشفيه طبٌ ولا آس
خفوقا وقـد شدت عليه أضالعى
وليس له من بينهن مواس
كنجم بدا فى حندس الليل مفرداً
يطل على جيش مـن الليل فراس
وخلفت نفسى فى الاسى لا تريمـــه
ووجـــد مُلِحٍ ظله فادح قاس
كشاةٍ اضلت صحبها وتخلفت
بيداء تعدو بين هم ووسـواس

كذلك ذكرى العيد من قاتل الهوى
وكان نديمى كل عيـــد وايناسى
اذا العيد لم يحمـــل الىّ حديثها
ونشراً زكيا دونه عابق الآس
فما العيـــد الا مأتم متجدد
يهـــدم قلبى أو يقطع أنفاسى

شرق الاردن   حسنى فريز



١ – بول فرلين

١٨٤٤ — ١٨٩٦

للاستاذ خليل هنداوى

شخصية هذا الشاعر شخصية غريبة ، قد اصطلحت عليها أعاصير الحياة ، وانحطت عليها الآلام ، وهى خلال ذلك تعبث بالآلام ، وتنشد الشقاء خالياً من ألحان الشقاء .

كانت حياته الأولى حياة هادئة كالسماء الصافية لا يغشى أديمها شيء . ثم بدأت سحائب سوداء قاتمة تحتشد من كل صوب لتحجب هذا الصفاء ، واستطاعت أن تحجبه ، واستطاعت أن تعكر عليه صفاءه . وتجعل حياته الجميلة مأساة عاشت مع نفسه . وترددت ما ترددت أنفاسه فى هذه المأساة التى عصفت به وعصف بها !

رحم الله أبا نواس . فقد كان يدعو الندامى والشاربين الى أن يغبطوه على سكره كلما شرب ، لأنه يرى فى سكرته نشوتين ، ويقول لنداماه : تسكرون أنتم سكرة واحدة ، وأنا أسكر سكرتين .

لى نشوتان وللندمان واحدة !

وكذلك كان (بول فرلين) . فسكره كان متصلا ، وذهوله الروحى كان متصلا ، يقتله السكر الاول ولكن السكر الثانى يحييه . ولعله كلما توغل فى السكر القاتل زادت محبة الحياة عنده فى السكر المحيى ، فألح عليه أصدقاؤه أن يتحرى المرأة فتحرى فوجد ، وشفع له جمال نفسه عن دمامة وجهه ، ولكنه لم يجد الشفاء المرتجى فى المرأة ، فذهب يتحرى ، ولعله تمثل أن شفاء نفسه فى صديق يفهمه ، ولعله اعتقد أنه وجده فى الشاعر الرمزى (أرتوررامبورد) فمال اليه ميلا غريبا . وفتحت قصائد متاليق نفسه ، فاتصلا بضعة أشهر ثم انفصلا ، ولعل أمر انفصالهما كان كأمر اتصالهما ، لأن الأرواح قد تتجاذب وقد تتدافع . ولكن هذا الانفصال لم يكن الا الى حين ، لأن (فرلين) الضعيف كتب الى صديقه يدعوه ، فلبى الصديق نداءه ، وعاد اليه يقضيان – فى بلجيكا – حياة تضل فيها الظنون ، وتحلق فيها الاوهام . ولكن أمد هذه الصداقة لم يطل . وليته مات موتاً ، ولكنه انقطع انقطاعا . فان (فرلين) عقب سكرة عنيفة قد اقتفى أثر صديقه فى الطريق . وأطلق عليه رصاصة جرحته جرحاً بليغا . شاء ذلك (فرلين) السكير . وشاءت ذلك نفسه الذاهلة الغالبة على نفسه الواعية ، ولعل مبعث ذلك كله هو الخمر ! فلبث عامين يتخبط فى سجن (بروكسل) . حتى اذا انطلق من السجن عاد الى ميدان الحياة يغامر فيه ، ويطلب لنفسه منفسحا ، فشغل مناصب علمية فى أقطار مختلفة ، ثم لجأ الى باريس . لايحمل الا قلبه الشاعر ! وقلب الشاعر أرجوحة تترجح بين الشقاء والهناء ، فعزاؤه عن خطوبه أنه طفق يرى كوكب مجده يسطع ويتألق ، وأن أصدقاءه المعجبين به يشيعون ويظهرون ، فلتفن كل آلام الحياة أمام هذا الأمل المشرق ، ولتقو ما شاءت أشواك الألم ما ظللت هذه الزهرة حية لا تقدر على خنقها .

اما مجده الشعرى الذى خلفه من بعده ، فهو يتجلى فى مذهبه الرمزى الذى لم يتكلفه تكلفاً . وانما كان برموزه يساير روحه التى تانس بالغموض والابهام ، وتأوى الى عالم ملؤه الاوهام والاحلام .

جرب (فرلين) جل المذاهب الشعرية الشائعة فى عصره ، فسمع ألحان (الرومانتيكيين) وطرب لها ، ولكنه فر عاجلا وأبى أن يظهر مرارته بهذه الالحان ، فأتى المدرسة (البرناسية) ووجد فيها ضالته ، فنظم قصائد كثيرة خالية من ميول النفس وأهوائها ، وهو القائل :

« أليست من رخام » فينوس ميللو » ؟

لقد فرض على قلبه أن يكون من رخام أيضاً يوم يتلمس هذا الجمال الرخامى .

ولكن (فرلين) المتقلب لايجد ان هذه المذاهب تستطيع أن تتسع لنفسه الفياضة ، فهو يحس – فى نفسه ميولا غامضة تتمشى ، ونزوات مبهمة تتهادى ، فأى فن رخامى يقدر على بيانها ؟ فمال عن المدرسة (البرناسية) ومشى وراء الشاعر (بودلير) مشية المحترس فأخذ من (بودلير) كثيراً . وولد شعر (بودلير) فى نفسه كثيراً وأيقظ فى نفسه كوامن كان يحسها ، ولكن لا يجد الى الافصاح عنها سبيلا .

وبعد أن رأينا (فرلين) يصارع أصحاب الشعر العاطفى الشخصى نراه غدا أوضح الشعراء شخصية وعاطفة فى شعره ، ونرى قصائده الاخيرة انما هى رسالات حقيقية يمكننا أن نعتمد عليها فى درس شخصية الشاعر ، تلك الشخصية المعقدة الجوانب التى اجتمعت فيها

مذاهب متباينة وميول من الحياة متنافرة ، وصدر من أجتمعت فيه هذه المذاهب وهـذه الميول تراه طوراً كالرخام تمر به وتضج وتثور فلا يحسها ، وطوراً تمر به مر النسيم فيتأثر ويهيج ، و(فرلين) الرخامى القلب الذى كان يصف الاشياء وصفا متجرداً عن الاهواء يصبح شاعراً محللا نفسياً ، نزل الى أعماق النفوس ، ووصف الكآبة العميقة المتمددة فى حناياها ، ووصف التأملات المشوشة يوم تعبس ، وأحلامها المتبدلة حين تطرب . كل ذلك وصفه بعبارات تتمشى مع حركات النفس ، وتنسجم مع الحانها متوافقة متلائمة ، ووراء هذه العبارات إحساس حى دقيق ، ولكنه إحساس لايظهر فيه الشقاء واضحاً متصراً غالباً على كل شىء ، ولكنه ذلك الاحساس المفعم بالظلمة والمغشى بالابهام ، كأنما يسرى السارى فيه فى جو مبطن بالضباب ، والشاعر بين حقيقة حياته المظلمة الممقوتة وبين تلك التعازى التى كان يرسلها فمه واحساسه أحلاماً جميلة ملونة ، كان يمشى بفنه ، ويحلق فى أفقه ، مبدعاً ذلك الشعر الذى دعاه معاصروه بحق (بالشعر الرمزى) وأضافوا لحنه الجديد الى ألحانهم الشعرية

(وفرلين) بعد هـــذا كله أبدع شعراً جديداً ألبسه مطارف فن جديد ، وخلق للشعر لغة جديدة أجمع النقاد على أنها أسمى لغة شعرية ، ولم يكن (فرلين) بنفسه إلا أنشودة جديدة مرت على أوتار قيثارة الشعر

مختار من شعره

— ١ —

اغنية الخريف

تجرح قلبى تلك الآنات الطويلة
التى ترسلها قيثارة الخريف ...
وتبعث فى نفسى الكلال والفتور

* * *

تدق الساعة ! فتطفح نفسى بالذكريات القديمة !
فتبهت ملامح وجهى ، وتضيق أنفاسى !
وتذرف عيناى الدموع .
أستسلم الى رياح الخريف !
فتحملنى مثلما تبتغى . . كما تحمل الزهرة الذابلة !

— ٢ —

القمر الابيض

هذا هو القمر اللجينى يسطع فى الغابة ،
وتحت كل فرع ، ومن كل غصن
يتعالى صوت هاتف « يامحبوبتى ! »

هذا هو الغدير الرقراق كالمرآة المصقولة ،
تسبح فيه خيالة الصفصافة السوداء
حيث تبكى الريح .
ألا فلنحلم . . . هذه هى ساعتنا
والهدوء الشامل قد غمر الكون ،
كأنما تنزل من اللانهاية المشرقة الوانها
ألا إنها الساعة المنتظرة . . .

— ٣ —

منظر

والبلبل القائم على الغصن يخال نفسه
ساقطا فى الماء يخشى على نفسه
الغرق وهو فى ذروة السنديانة
« سيرانو »
تموت ظلال الشجر على صفحة الساقية التى غمرها الضباب
كما يموت الدخان .
بينما الحمائم فى الفضاء تبث الشكاوى
وترسل النجاوى بأمان
أيها المسافر ! إن هذا المرأى الحائل
ليبعث فى نفسك الحؤولة
ويغادرها تحت الظلال العالية ، كاسفة كئيبة
آمالك الغرقى التى تموت ،

— ٤ —

من السجن

السماء — هنالك — لامعة زرقاء .
وشجرة — هنالك — تهتز غصونها فى الفضاء .

الناقوس تتهادى دقاته فى الاجواء !
والعصفور يرسل شكواه نشيدا وغناء .

البقية على صفحة ٥٨٨

العلوم

٥ – فى البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

لهذه البحوث جانب علمى وجانب دينى . أما الجانب الدينى فقتله بحثا جهابذة من المصريين ، وأما الجانب العلمى فأمنية هذا القلم الضعيف أن يبسط ما تم منه ، ويتتبع عن كثب مايستجدفيه ، ومن وراء هذا القلم نفس تتمنى لوأن بمصر معهدا لهذه البحوث ، فلعل الايام تحققها الأيام .

وللبحوث الروحية أيضا جانب تاريخى ، اذ الظواهر الروحية لم يخل منها عصر من العصور ، عرفها سقراط ، واندفعت بتأثيرها جان دارك ، ومارسها الكهنة والسحرة . دع جانباوحى الأنبياء ومعجزاتهم ، وكرامات الأولياء ، وما أدى ويؤدى اليه التصوف . ليست الظواهر الروحية بمكتشف جديد ، وإنما الجديد هو أن يفلحها العلم الحديث بمحراثه التجريبى البطىء الأكيد .

هل الحياة بعد الموت إحدى الحقائق الكونية ، أم كل مايقال عنها توهم وإيهام ؟ واذا كانت تلك الحياة حقيقة واقعة فا القوانين الطبيعية التى تربطها بهذه الحياة ؟ وما العلاقة بين الجسم المادى الذى نعيش به هنا والجسم الروحى الذى نعيش به بعد الممات ؟ وكيف ينشأ وينسلخ هذا من ذاك ؟ سيخيل الى القارىء أن المبحث عبث ، والمطلب مستحيل ، ولكن عددا من رجال العلم قدأوغلوا فى هذه السبيل ، ووصلوا الى نتائج حاسمة ، ونبشوا فى صخرة الموت الصماء ثغرة يضع أنفه فيها كل يوم باحث جديد ، وقد تتسع يوما ما لكل الأنوف .

الجسم البشرى يتألف من كهارب سالبة وموجبة ، والتمثال الحجرى يتألف من نفس تلك الكهارب . ولكن الجسم البشرى يحس ويتصور ويتذكر ويفكر ويريد . فا السر فى أن كهارب الجسم البشرى حية عاقلة ، وكهارب التمثال ميتة خاملة ؟

هناك رأيان أحدهما أن ظواهر الحياة فى الجسم الحى ليست سوى نتائج طبيعية لترتيب كهاربه على نسق خاص ، أو هى ، بصيغة أخرى ، نتائج آلية لتركيبه الكيميائى . ذلك أن المادة بمفردها تكون ذات خواص معينة ، فاذا اتحدت بمادة أخرى نتج مركب تختلف خواصه عن خواص المادتين اختلافا بينا . فالايدروجين مثلا غاز خفيف ، تصعب إسالته ، والاكسجين غاز يتوهج فيه القبس المتقد ، ولكن اذ اتحد الاكسجين بالايدروجين نتج الماء ، وشتان بين خواص الماء وخواص كل من الايدروجين والاكسجين . وخذ مثالاآخر : الكلور غاز يعافه الانف،متلف ، مهلك ، سم زعاف ، والصوديوم فلزنشيط قوى الفعل ، لو وضع الانسان حبة منه فى فمه لنسفت حلقه نسفا ، ولكن اذا اتحدالكلور بالصوديوم نتج جسم لطيف ، يصلح المعدة ، والدم ، هو الملح الذى به نأتدم ، وبدونه لا نستمرىء الطعام . فأصغر تعقيد كيميائى فى تركيب المواد يحدث أكبر تغيير فى خواصه ، فلعل كل ظواهر الحياة ، على غرابتها ، ليست سوى خواص طبيعية وكيميائية للمركب المعقد المسمى بالبروتوبلازم

هذا رأى الكثرة من علماء البيولوجيا . وأصحاب هذا الرأى لايرون البعث من الممكنات ، وعندهم أن الرجل اذا مات ، وتفككت ذرات جسمه ، فصعد بعضها فىالجو هيئة غاز ، ورسب الباقى فى التربة بشكل ملح ، وشتتت الريح الغازفى القارات الخمس ، وأسلمت التربة الملح الى جذور النبات ، فقد عاد الرجل كأن لم يكن ، وبعثه من جديد رجع بعيد ، وليس له من روح الا بقدر مايكون للملح روح بعد تحليله الى الكلور والصوديوم .

ومن زعماء هذا الرأى سرآرثر كيث ، أستاذ البيولوجيا وعضو المجمع العلمى البريطانى ، فهو يقول : —

(.... اذا كنا نخلد ، فانما نخلد فى أبنائنا وذرارينا ... قبل

أن نتساءل عن كنه الحياة وإمكان استمرارها بعد الممات ، يحسن أن نقول ما هو الموت . اذا وجد الطبيب قلب مريضه سكت ، ولم يبق لتنفسه مد وجزر ، قرر أن الموت حل بساحته . ولكن ليس هذا بصحيح ، اذ لو هيأ الطبيب فى الحال جهازاً يدفع دما طازجا مشبعا بالأكسجين فى الأوعية الدموية لمخ الميت ، لاستعاد هذا وعيه وذاكرته ، وقدر على التفكير ، ونطق بالكلام ، ويبقى كذلك مابقى فى عروق مخه دم صبيح . فاذا أوقف الدم عشر دقائق دخلت خلايا المخ فى موت لاحياة بعده ، ولكن خلايا القلب تظل حية ، بحيث لو اقتطع وأحيط بوسائل خاصة عاد يدق كما كان يفعل بين ضلوع صاحبه ، أما خلايا الشرايين فتعيش بعد الوفاة أربعين ساعة . الموت لايحدث دفعة واحدة بل بالتدريج ، وخلايا الجسم تموت فرادى كما يموت السكان فى قرية جائعة ـ الضعيف يموت أولا والقوى يعيش بعده الى حين . لو كان الموت كما يقول سر أليفرلدج هو خروج روح من الجسم لحدث دفعة لا بالتدريج . . . . لايستطيع البيولوجى أن يسلم بوجود روح للانسان أو للحيوان ، وعنده أن الروح والجسم شىء واحد لايتجزأ .)

هذا رأى فى تعليل ظواهر الحياة . أما الرأى الآخر فزعيمه سر أليفرلدج ، ومجمله أن كل حيوان ، ابتداء من الاميبا (حيوان آحادى الخلية بدأ يتميز من الجماد بالشعور والارادة) يتألف من كيان مادى وكيان اثيرى ، وينفرد الثانى إذا ما تحطم الاول ، وتستمر الحياة بعد ذلك بهيئة لاتدركها حواسنا الخمس .

هذان رأيان نقيضان فأيهما الصحيح ؟ العلم الحديث لايقف عند حد الأدلاء بالآراء ، بل سر قوته ونجاحه هو اختبار الآراء بالتجارب العملية ، فهو لايقيم وزنا لآراء تأبى الامتحان العملى ، ولو فعل لتصدعت الرءوس بآلاف الآراء الجامحة . فقبل أن يصبح الرأى حقيقة علمية يجب أن تحققه التجارب العملية .

نظرة فى هذين الرأيين

الرأى الأول (رأى العدميين) لاسبيل إلى إثباته علما إلا بصنع خلية حية من مواد كيماوية عادية وهذا لم يحدث بعد . نعم . نسمع فى الحين بعد الحين أن كيمائيا أحدثه ، ولكن الخبر يذاع اليوم ويموت غدا ، فهو مبالغة أو اختلاق . أما الرأى الثانى فتوجد اليوم ظواهر تؤيده ، نذكر هنا مثالا منها :

مستر (فرانكلى) وسيط يعمل بجمعية للبحث الروحى بلندن ، وله خاصة الكشف البصرى ، فهو يرى الأرواح كالأشباح . ولكنه يزيد عن أمثاله من الوسطاء بأنه رسام ماهر ، فعند ما يرى الروح ويصفها ، يتناول القلم والورق ويرسمها . وللتحقق من صدقه يفاجئه الباحثون كل يوم بأشخاص ليست لديهم معرفة . ولكنه برغم ذلك يرسم صوراً صحيحة لأرواح أقربائهم . ويجد القارىء هنا رسمين لروحين من عمل مستر (لى) ، وبجانب كل رسم صورة عادية من صور المتوفى أيام حياته . ويلاحظ أن الشبه متوفر بين الأصل ورسم الوسيط .



(فى الحياة)



(بعد الممات)

كيف يمكن أن يرى الروح انسان كائناً من كان ؟ ليس الأمر من الغرابة كما يبدو . نحن نرى من الأشعة ما يقع ما بين الأحمر والبنفسجى. ولكن هل هذه هى كل ما فى الكون من أشعة ؟ لا . لقد كشف العلم عن سلسلة طويلة من موجات أطول من الحمراء ، وسلسلة أخرى أقصر من البنفسجية — أشعة يعج بها الفضاء من حولنا ولا نراهـا . ويمكنك أن تدخل حجرة حالكة الظلمة ، وتملأ فضاءها بتلك الاشعة ، ومع ذلك لاتميز عينيك غير الظلمة الحالكة .

يفترض سر أليفر لدج أن الروح بعد الموت تعيش في جسم أثيري . فلعل هذا الجسم الأثيري يشع من الموجات مالا يؤثر في العصب البصري للشخص العادي ، ولكنه يؤثر في عصب شخص شاذ هو الوسيط . لعل العالم المرئي لنا هو واحد من عوالم كثيرة تحف بنا من كل جانب ويتناوبها حجاب رقيق ؟



(في الحياة)



(بعد الممات)

بول فرلين

بقيـــة المنشور على صفحة ٥٨٥

إلاهي ! إلاهي ! إن الحياة — هنالك — يحفها الهدوء والسكينة ،
وهذه النأمة الخفيفة — هي أصوات المدينة ،
يا أيها الساكن — هنالك — تبكي البكاء الطويل !
قل : ماذا تصنع أنت بشبابك الجميل

— ٥ —

جرين GREEN

اليك هذه الثمار ، وهذه الازهار !
اليك هذه الأوراق ، وهذه الاغصان !
اليك قلبي ، الذي لا يخفق الا من أجلك ،
لا تمزقه بالله يداك الناعمتان البضتان
ولتقبل هديتي الوضيعة عيناك الجميلتان !
وصلت اليك ! وعلى جبيني تتألق قطرات الندى
التي جمدتها ريح الصباح
تألمي لي ! فان شقائي الذي يسكن تحت قدميك ،
يحلم بتلك الثواني العزيزة التي ستزمع الرواح .
دعي رأسي على صدرك الساطع ،
ترن فيه أصداء قبلاتك الاخيرة
دعيه يستريح من العاصفة الثائرة
وذريني يطبق جفني الكرى حيث أنت تهجعين . . .

— ٦ —

كآبة

تهوى الكآبة على قلبي كما يهوى على المدينة ماء السماء !
فما عسى تكون هذه الكآبة التي غمرت قلبي ! وما هذا الشقاء؟
آه ! ان وقع المطر على الأرض والسقوف يهيج الفؤاد
الذي اعتاده سأم . . . آه يا أغنية الشتاء !
تهبط الكآبة والشقاء القاتم ، بدون سبب على هذا القلب السائم .
فعلى اي عهد ضائع اكتئب ؟
ألا إن هذا الحداد بغير سبب .
ألا إن هذا هو العذاب الاكبر !
يكتئب فؤادي
وينتابه الأسى ، دون أن يعتاده حب او يهيجه بغض
وهو لا يعلم — بعد ذلك — لحزنه سببا !

دير الزور — خليل هنداوي

القصص

قصـــة مصرية

صـــدمة الغرور

أتم كامل تسريح شعره بعد أن نضحه بماء الكلونيا ووضع طربوشه فوق رأسه . ثم نظر فى المرآة المثبتة فى خزانة ملابسه نظرة اختبار وتأمل ، فحسن فى عينه كل شىء إلا نظام المنديل الحريرى المدلى من جيب سترته ، فأخذه فى يده وجمع أطرافه إلى وسطه وأعاده بعناية ورفق إلى مكانه

ارتدى بعد ذلك معطفه ، وأمسك بعصا دقيقة وخرج من المنزل الصغير ، بعد ان أوصى الخادم أن يعد طعام الغداء مع شىء من الزيادة وكثير من العناية ، لأن ضيفا سيأتى لزيارته اليوم وسيعود إلى المنزل معه .

سار كامل فى طريقه الى عمله بمكتب التلغراف ، فى تؤدة ونظام ، ترتسم على شفتيه نصف ابتسامة يتكلفها دائما ليكون عظيما على الاقل فى نظر نفسه . وكان حريصا كعادته على ان يقتصد فى نظراته وتحياته فى الطريق ، وعلى ان يظل منتصب القامة واضعا يده اليسرى فى جيب معطفه ، وممسكا بالاخرى قفازيه وعصاه الثمينة ، يرفعها ويهبط بها على نظام ثابت ، وبين مسافات متساوية . مبتعدا بحذائه اللامع عن آثار المطر القليل فى الشارع .

وصل المكتب فحيا الوكيل وحيا زملاءه بابتسامة كاملة لم تنفرج لها شفتاه ، ثم جلس الى عمله يستقبل البرقيات ويعنونها ويضعها فى أغلفتها ويسلمها بايصالاتها إلى السعاة الموزعين

يفكر كامل فى نفسه كل التفكير ويتأنق فى ملبسه كل التأنق ، فهو يشفق ان تقتحمه نظرة ارستقراطية تقع منه على ضعف فى التجانس بين قيمصه الحريرى وبين بذلته أورباط عنقه . ولذلك يأخذ نفسه بكثير من الدقة فى اختيار الألوان وفى انسجام كل مجموعة من ملابسه على ذوق مناسب للفصل وللوقت . مع ذلك كله وان كان يعمل فى مدينة صغيرة من مدن الوجه البحرى قلما تقع فيها العين على أكثر من اللباس العادى النظيف الذى يمتاز بالبعد عن الكلفة والامعان فى البساطة

ويحرص على هذا كله برغم ما يقتطع من مرتبه الشهرى الذى لم يزد على سبعة جنيهات ونصف جنيه من يوم أن عين فى وظيفته . وهو راض بذلك يعيش منـــه فى جو من الغرور وخيال العظمة يعزله عن وسطه وزملائه ويجعله أحيانا مبعث دهشتهم وأحيانا موضع نكاتهم .

قلبه يحمل إلى جانب ذلك حبا يملكه كأقوى ما يمتلك الحب ، وهوى يعذبه كاشد ما يعذب الهوى . فاذا به وهو يمسك بصورة محبوبته يقلبها بين يديه فى مناجاة ذليلة ، وضعف ينسى فيه نفسه ويتخيل الحبيبة كل شىء ، طالما أوصد على نفسه باب حجرة نومه الصغيرة . وأخرج الصورة من حرزها الحريز فى خزانته ولبث ينظر اليها فى ذهول حتى يغيب عن وجوده وعن حجرته ، ويعود فى ذكرياته الى أيام الدراسة ثم إلى أيام العمل الاولى فى القاهرة . فيرى نفسه وقد ذهب محملا بالأمانى غارقا فى الاحلام الى منزلها ليزور والدها واخوتها ، حاملا إليهم تحيات أسرته الصديقة كان ينتهز لذلك فرصا كثيرة . وكان يقابل هناك بكثير من الحفاوة للصلات القديمة المتينة التى تربط العائلتين . وكانت تأتى « هى » لتحيته فيقوم لها وقد سرت فى جسمه هزة سريعة ينهزم لها قلبه ، ويتعقد لسانه ، وتتسمر عيناه ، الا أن الابتسامة التى كانت تنطبع على شفتيه دون وعى كانت تحجب عن الأنظار كثيراً من ذلك .

ثم يجلس مفكك الأوصال كما يعتدل فى فراشه المريض الناقه بعد أدوار الحمى القاسية . ويمضى الزمن سريعا سريعا فيستأذن ويخرج مهيض الجناح ملتاع القلب . يذكر ذلك وفى يده الصورة فينهال عليها بفمه الملتهب يقبلها فى حرارة ، ويرفع نظره عنها ويثبته فى السقف وهو لا يرى منه شيئا . ثم يرسل تنهدة عميقة ، ويقوم فى تراخ فيفتح صوانه ويضع الصورة حيث كانت . ثم يعود الى سريره يستلق عليه فى فتور وإعياء .

هذه الصورة عزيزة عليه ، يحتفظ بها ويحرص عليها كل الحرص لانها لم تصل الى يده الا بعد عناء شديد ، شاركته فيه أمه عند ماسافرت لرؤيته في مصر ، فاعملت حيلتها في تبادل الصور بين الأسرتين ، ولم تظفر بها الا بعدجهد ورجاء في الزيارة الثانية . وقد تشجعت – بعد الحاح ابنها الشديد – على أن تشير في سرعة وغموض الى أملها في أن تتصل بينهما أواصر صلة قريبة . وكم اطمأن قلبها عندما لمحت حمرة الخجل تشيع في وجه (رسمية) وابتسامة المجاملة تبدو على ثغر والدتها !

كل هذه الذكريات كانت تطيف بكامل كل يوم قبل أن يأوى الى فراشه ، وعندما يخلو الى الصورة العزيزة يناجيها ويتنهد من أقصى رئتيه ، لايستطيع التفكير في مصير أمله الغامض

لم يسافر الى مصر من عهد أن نقل منها ، وقد أرسل خطابا الى « عمه » رأفت بك والد رسمية يعرفه فيه حاله ، ويتجه بتحيته الى الاسرة جميعا . وورداليه منه رد رقيق يتمنى له فيه الراحة ويبدى استعداده لخدمته فيما يريد . وقد استحى بعد ذلك أن يكتب اليه مرة أخرى ، ثم هو لايعرف طريقا يقربه من غرضه . فوق أنه لا يعتمد على شيء لهذا الغرض الا على الصداقة القديمة بين أبيه وبين رأفت بك . وهو لايثق كل الثقة في أنها تكفي بعد أن بعدت الشقة وأصبح رأفت بك موظفا كبيرا ، ونشأت رسمية على حياة راقية وآمال واسعة . كما أنه لايثق من مساعدة أبيه له لنفس هذه الاعتبارات ، ولذلك يؤثر الا يكاشفه بالأمر في رغبة ورجاء استبقاء على أمله أن يتبدد من أقرب الناس اليه .

كانت تؤلمه هذه الخواطر حين ينتهى في تفكيره اليها فيحاول أن يبعدها عنه فلا تبتعد ، فيعلق نفسه بخيوط من الاماني . لعله يوما أن يكتسب عطف رأفت بك ، ولعله يوما أن ينعم بحب رسمية . أليس شابا مستقيما ؟ أليس وسيما أنيقا ؟ وتحمله هده التعلات من مكانه فاذا به امام المرآة ينظر الى نفسه ثم يبتسم لها ويعود الى فراشه . ويسلم أفكاره الى الهواجس ثم الى النوم حتى الصباح

* * *

حان موعد قيام القطار فدوى صفيره في الفضاء ، ثم انطلقت أنفاسه المحبوسة ، وتحرك في خفة وهدوء ، وارتفعت اصوات المودعين ، واخذ القطار يبتعد عن الرصيف شيئا فشيئا ، وأخذ المودعون والمسافرون يلوحون بمناديلهم في الهواء . ثم أغلقت النوافذ ، وتتابعت المناظر من خلال الزجاج في سرعة عظيمة .

وجلس الدكتور أمين ممسكا بيده المجلة العلمية التي ابتاعها وأخذ يقلب صفحاتها ليعرف موضوعاتها وكتابها . ثم وضعها الى جانبه وسبح في خياله . هو اليوم يعود الى القاهرة منقولا إليها بعد أن فارقها من سنتين ، . فارق فيهما حريته الواسعة واصدقاء الدراسة ، واندمج فيهما في التقاليد الاجتماعية التي ينفر منها ، ولكنه لايجد مفرا من الخضوع لها . سيعود اليها الآن شبه غريب فقد تفرق زملاؤه ، وأصبح هو مقيدا بعمله وواجباته . ولكن القاهرة هي القاهرة على كل حال ، ولا بد أن يجد فيها كل امرىء راحته وسعادته .

اتسعت احلامه وذكرياته فقام من مكانه ومديديه الى الأمام ثم الى الخلف في بطء واسترخاء مالئا رئتيه من الهواء المنعش البارد كمن يود أن يستجمع نشاطه المتفرق . ثم سار في بهو العربة الخالي ينظر أحيانا الى الركاب اللاهين في أحاديثهم أو صحفهم ، أو المسلمين أنفسهم إلى سنة خفيفة من نوم أو تفكير . سار مرات في ذهاب وجيئة لم يتعد العربة التي هو فيها ، ثم خطر له أن يجتاز مركبات الدرجة الأولى إلى عربة الأكل ليتناول فيها فنجانا من الشاى . فسار سيرا وئيدا في ممرات العربات التي يسودها سكون لا تسمع فيه قرقعة العجلات ، ولا صفير القاطرة . وانقلب تفكيره وخياله الى حال من العظمة والشعور بالكبرياء . وسمح لآماله أن تسبق الزمن فتراه طبيبا شهيرا جمع الى ذيوع الصيت ثروة ضخمة تؤهله أن يكون دائما من رواد هذه العربات الفاخرة دون أن يكون دخيلا عليها . ثم تسرب فكره وخياله إلى نواحي العظمة الاخرى فتصور الضياع والقصور ، وتخيل رحلة لذيذة في الصيف إلى خارج القطر يمثل فيها مصر في مؤتمر دولى طبي . وكان قد استند قليلا إلى إحدى النوافذ وإذا يد تنزل على كتفه في ملاطفة وتنبيه ، فالتفت سريعا وملأت وجهه ابتسامة شاكرة ، ثم مد يده مسلما في احترام ولين .

— إلى أين انت مسافر يا دكتور ؟

— الى مصر يابك فقد نقلت اليها للعمل في المصلحة

— عال . إذن ننتظر منك ان تزورنا كثيرا . فأنت من الآن طبيبنا الخاص . أليس كذلك ؟

— بكل سرور يابك . ولى الشرف .

— العفو يادكتور . وكيف حال عمك ؟ ألم تزره حديثا ؟

— كنت عنده فى الأسبوع الماضى وهو فى صحة جيدة . ولو أنه يعلم بهذا النقل لأوصانى أن أزور سعادتكم وأن أحمل اليكم أطيب تحياته .

— وكيف حال كامل ابنه فانى لم أره منذ أن نقل من القاهرة بعد تعيينه بمصلحة التلغراف .

— بخير يا بك . وسأمر عليه اليوم لاراه .

— إذن أنت لا تسافر فوراً الى مصر فى هذا القطار ؟

— سأتخلف عنده ساعتين ، وأصل ان شاء الله مصر فى هذا المساء .

— والى أين كنت تسير الآن ؟

— كنت أريد الذهاب الى عربة الاكل لاتناول فنجانا من الشاى

— إذن تفضل . راعمل ترتيبك على أن تنزل عندنا إلى أن تنظم مسكنك الجديد . فاهم ؟ سأنتظرك فى المساء . لا أقبل منك اعتذاراً . إن لعمك عندى منزلة كبيرة . وأنت دكتورنا الصغير العزيز . ها . ها . ها ! بلغ كامل سلامى .

— متشكر يا بك . إن شاء الله

—

وقف القطار واستقبل كامل ابن عمه فى حفاوة وترحيب وكان قد انتهى من عمله حين كانت الساعة الواحدة بعد الظهر . فسار به الى المنزل ، وتحدثا فى الطريق عن النقل ، فهنأه به كامل تهنئة حارة ، وبادله الدكتور التهنئة على أناقته ومظهره الفخم الذى يبدو فيه من أبناء الطبقة الراقية

بلغا المنزل وكان الخادم على استعداد لتقديم الطعام . فأمره كامل باعداده ، وساعده فى ترتيبه على مائدته البسيطة . ودعا ابن عمه أمين الذى كان فى حجرة النوم مشتغلا بالتفرج على ملابس كامل العديدة الجميلة الصنع واللون فذهب اليه وأخذ مكانه من المائدة وبدأ الحديث . .

— برافو كامل . أنت لا تزال محتفظا برشاقتك المعروفة عنك برغم بساطة البلد الذى تعيش فيه . فمجموعة ملابسك تعتبر من أبدع ما يملكه هاو للازياء الحديثة

— أبداً . انها فى منتهى البساطة . ويظهر أن العادة حكما لا يستطيع الانسان أن يتغلب عليه ولو عاش فى الارياف أو فى الصحراء .

— « على فكرة » رأفت بك كان مسافرا الى مصر فى القطار الذى وصلت فيه . وقد عرفنى اثناء مرورى فى العربة وسأل عنك . وكلفنى أن أحمل سلامه اليك

— رأفت بك ! وكيف عرفك ؟ وماذا قال لك ؟

— يظهر أن ذاكرة الرجل قوية . فقدمرت سنتان لم أره فيهما ، ولكنه رآنى مع عمى كثيرا قبل ذلك . وقد هنأنى تهنئة رقيقة يوم ظهور نتيجة الدبلوم . وقد سألنى اليوم عن عمى . وطلب منى بالحاح ان أنزل عنده فى مصرحتى أهيىء لى سكنا ، وقال انه فى انتظارى الليلة

— فى انتظارك الليلة ؟ . اذن انت لاترغب فى البقاء معى ولو يوما واحدا ؟

— بكل أسف . فأنا مضطر الى الذهاب الى المصلحة غدا صباحا ولذلك سأسافر بقطار الساعة الثالثة . ولا تنس أنى وعدت رأفت بك بالذهاب الى منزله هذا المساء .

— إنها فرصة سعيدة جدا . الا تعرف ؟

— فرصة لابأس بها وان كان لايهمنى كثير الاختلاط بالطبقات الارستقراطية . بل إنى أضيق بالعادات والتقاليد الخاصة بها . وأحاول أن أتكلفها لئلا يفوتنى شىء منها ، فتقابل تصرفاتى بابتسامة أشفق منها على نفسى . ولذلك فانى فى الغالب ساعتذر للبك بعد ليلتين بحصولى على مسكن وأنتقل الى أحد الفنادق

كيف ذلك ؟ إنى أريد ان أكلفك بمهمة فى هذا المنزل . مهمة شريفة جداً . يتوقف على قضائها مستقبلى ، أوقل تتوقف عليها حياتى ، وقد خدمتنى الظروف أجل خدمة بما حدث بينك اليوم وبين رأفت بك مما جعلك تقبل النزول فى بيته ، فتكون ضيفا كريما مسموع الرأى ، مجاب الارادة . فهل أنت مستعد أن تقدم لابن عمك وصديقك هذه المكرمة الميسورة لك ؟

— لاأفهم . إنما ثق انى على أتم استعداد لخدمتك فانت أخى قبل كل شىء ، فاهى هذه المهمة وكيف يتوقف قضاؤها على بقائى فى منزل رأفت بك . أأنت تريد العودة الى القاهرة ؟

هـــذا طلب ثانوى سيكون له وقته القريب أو البعيد . اسمع لى دقيقة . . .

وقام كامل فغسل يديه بسرعة وجففهما ثم دخل إلى حجرة النوم وعاد ومعه الصورة فى غلافها .

اقترب من أمين وقد امتقع لونه وعلت أنفاسه ورفع الصورة بين اصبعين من يده المرتعشة . فأمسك أمين عن الأكل وحملق بعينيه وفغرفاه وقال بصوت ملؤه الغرابة والدهشة :

« وسميه ! بنت رأفت بك ، انت بتحبها ! ؟ مين جاب لك الصورة دى ؟ » . . . « آه ياعفريت » . جلس كامل وهو لا يكاد يعى ما يسمع أو ما يقول ثم أجاب ـ الصورة مهداة إلى أمى . وليست لى بالذات ، أما انى أحبها فلست أدرى إن كان الحظ أو سوء المصير هو الذى أوقد نيران هـذا الحب فى قلبى ، فهو يستعر به ولا تنيء عنه إلا هاته الزفرات .

ـ وهل كاشفت أحدا بهذا الحب ؟

أبدا لم أجد فرصة أولم أجد شجاعة . حتى أنى لأحس الآن بألم فى نفسى كأنى استبحت حرمة دفينة حين صرحت لك ، ولكنه الأمل ، فعزائى الآن بيديك . وإنما أمى تعرف عنه كل شيء ، وأظنها ابدت الرغبة ذات مرة فى زواجى من رسمية ، واخبرتنى ولست ادرى أكان حقا أم قصدت الى سرورى . اخبرتنى أن رغبتها صادفت ارتياحا من الجميع .

ـ اذن المسألة أصبحت سهلة . وماذا يمكننى أنا أن أقدمه اليك فى هذا الامر ؟

ـ ماذا يمكنك ؟ يمكنك كل شى . تستطيع أن تعرف الميول الحقيقية نحو الفكرة . وميول رسمية بصفة خاصة . وتستطيع أن تكون صريحا فى ذلك . وأن تستعمل حيلتك وتأثير شخصيتك . وعندك الفرصة سانحـة لتمكنك من قضاء وقت طويل أثناء اقامتك فى المنزل .

ـ على كل حال ثق أنى سأجرب نفسى فى هذا الموضوع ، وانى سأتخذ ماليس من طبعى من التبسط فى التفاصيل ، وسيساعدنى على ذلك أن مثل هذا الحديث عند الطبقة الراقية مألوف لا غضاضة فيه . وإن كنت لا أكتمك ظنى أن لامثال هذه الطبقات ميولا وآمالا قد لا تدخل فى تقديرنا فلا نعمل لها حسابا . انما يمكنك أن تعتمد على فى ذلك الى أبعد حد

ـ إذن أضع كل أملى فيك . حياتى ومستقبلى بين يديك ، عاملنى كأخ ، ولا تنس أن قلبى يتفطر ، وأنى لن أرى الراحة حتى أرى بواكير خدمتك . وسأظل مدينا لك بروحى مدى الحياة .

لماذا أمسكت عن الاكل ؟ كل ، فان المسافر يجب أن يأكل كثيرا .

ـ متشكر ، لقد امتلأت . اين ماء الغسل ؟

* * *

سافر الدكتور ومضت أيام ، فأرسل اليـه كامل خطابا يستثير فيه اشفاقه ، ويرجو منه افادته عما عمل ومارأى وما سمع ، ومضى أسبوع ، وأرسل كامل كتابا آخر يعتب فيه أشد العتب ، احتدت فيه عاطفته أول الأمر ثم لانت وتوسلت وتذللت وطلبت ردا . . أى رد !

وأتى الرد أخيرا . نشر كامل الخطاب بين يديه فى سرعة ورجفة وقرأ ..

عزيزى كامل

احييك وأتمنى لك الصحة والراحة . جاءنى خطابك وقد كاشفتها بحبك ، فامتعضت وزمت شفتيها فى احتقار وتبرم . ولم أشأ ان أجرح شعورها بعد ذلك ، اجتهد ان تنسى عاطفتك الجامحة ، وثق انك تستطيع ذلك ، ويمكنك أن ترسل الصورة إلى الوالدة . أو تتخلص منها على أى حال . فهذا يساعدك على ما ذكرت ، وانى لك على الدوام المخلص

أمين

* * *

ومنذ شهر ، عاد كامل فى نهايته من أجازته المرضية الطويلة . واذا به يتلقى فى البريد الدعوة الآتية

« محمد رأفت بك ، والدكتور أمين سامى يتشرفان بدعوة حضرتكم الى حفلة عقد قران الآنسة رسمية كريمة الاول على الثانى فى الساعة السادسة من مساء الخميس ٢٥ الجارى بمنزل الأول فى الزمالك ويسرهما ان يشفعا هذه الدعوة بأطيب الأمانى »

وجمد كامل فى مكانه من ألم الصدمة . ولكن سؤالا سريعا وجوابا حاسما ، طافا بخيلته فى غير شعور . أيذهب ؟ مستحيل ! .

محمد فريد عبد القادر

٣ ـ شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد
مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

ـ ما هذا يادكتور كرسلاند ؟

ـ هذه حدائق المرجانية

ـ عجبا وما هذه الالوان الجميلة ؟

ـ هذه الوان المرجان نفسه

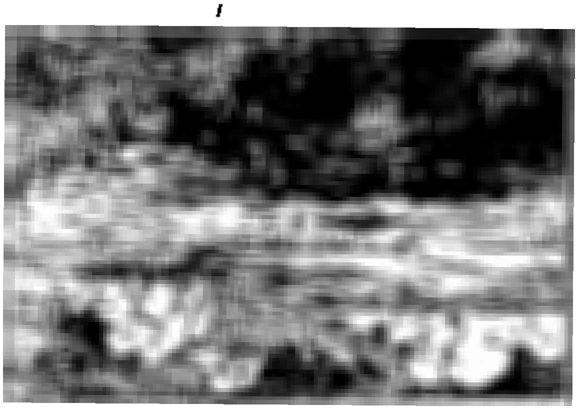
ـ ولكن عهدى بالمرجان أن يكون شعبا صلبة من مادة جيرية بيضاء أو حمراء.

ـ ماتقوله يصدق على بيوت المرجان بعد اخراجها من الماء وتعرضها للهواء والشمس

ـ اذن أرجو ان تزيدنا علما بهذه الكائنات العجيبة

ـ بكل سرور ـ المرجان كائن حى هلامى الجسم صغير جدا من فصيلة الحيوانات الدنيئة ،وله قدرة على بناء بيت له من مادة جيرية يفرزها جسمه ، وهذا البيت يعيش فيه الحيوان ويرتكز عليه وهو يتكاثر بطريقين : طريق التوالد أى التلقيح ، وطريق الانقسام، أى أن الواحدة تصير اثنتين بطريقة تشبه الأزرار فى النبات ، وشانه فى ذلك شأن كثير من أنواع هذه الفصيلة ـ فالمرجان فى تكاثره يشبه النباتات والحيوانات العليا معا ، فهو مثل النباتات فى أن كلا منهما يحتاج الى روا كز ينمو عليها ، كما أنه ينتشر فى الاماكن المتباعدة بطريقة تكاد تشبه طريقة الانتشار بالبذور ، وهو مثل الحيوانات العليا فى أنه ينقسم الى ذكر وانثى ـ وتكاثر المرجان من الامور المدهشة العجيبة ، فالجزر تحت أقدامنا والشاطىء من السويس الى المحيط الهندى والحاجز المرجانى العظيم شرقى قارة استراليا وكثير من جزائر المحيط الهندى والهادى ماهى الا تكوينات مرجانية من نوع الخمائل التى ترونها الآن والتى تثير فيكم الاعجاب والدهشة ـ فتى حان وقت اللقاح قذف الذكر من فمه سائلا لبنيا خفيفا ينتشر فى الماء ، فاذا وصل السائل المذكور الى الانثى واختلط بالبويضات فى جوفها حصل التلقيح وأخذت البويضات فى النمو على شكل كرات صغيرة جداً لاترى بالعين العادية ،وبعد تمام نموها تطرحها الانثى فى الماء بكميات عظيمة ، فتعوم فيه بحركة ضعيفة بواسطة أهداب على جسمها تدفعها الى الامام ، وبعد أيام أو أسابيع تستقر هذه الاجنة فى قاع البحر بالمكان الملائم لنموها فتلتصق سريعا بالقاع ،ثم تتطور فيتميز لها فم تحيط به أذرع لدفع الغذاء الى الفم ، ثم يتكون للحيوان هيكل جيرى يأخذ فى النمو سريعا فتقوى أذرعه ويكبر تجويفه حتى اذا اكتمل نموه بدأت عمليتا التوالد والتكاثر على نحو ماقدمنا فتتسع قاعدته وتطول شعبه ، وتتفرع بالتزرر كما يزرع نفسه فى الاماكن المجاورة بالتوالد .

وهنا اقتلع الدكتور كرسلاند من الماء شعبة مرجانية زرقاء فانساب منها سائل هلامى شفاف له قوام كثيف ثم قال : إن هذا السائل عبارة عن اشلاء مئات من الحيوانات المرجانية ، تسقط عن هياكلها الجيرية بعد أن فارقت الحياة لانها لا تقوى على البقاء خارج الماء ، وأما هذه الشعبة ـ انظروا الى الثقوب فيها فهى قرية او مستعمرة مرجانية ، وعما قليل يضيع لونها الازرق وتصير سمراء ثم بيضاء ـ انها قصفة تنكسر بسهولة ، وهذا المرجان لايغرنكم شكله الجميل، فهو حيوان مفترس، فالكائنات البحرية الصغيرة التى يسوقها سوء الطالع بالقرب من اذرعه تلاقى حتما حتفها ، فعلى الاذرع تنتشر ابر دقيقة تنتهى عند قواعدها باكياس صغيرة تحتوى على سم شديد الفعل ، فتى انغرزت الابر فى جسم الحيوان شلته عن الحركة فيقف جامدا فتمتد اليه الاذرع وتلصقه بها ، ثم تدفعه رويدا الى الفم، فتى وصل اليه انفتح بالقدر اللازم لابتلاع الفريسة، ثم يطبق عليها وتبدأ عملية الهضم داخل التجويف ، والمرجان من أكلة اللحوم فهو لايتغذى بالنبات ، وهو يتنفس مثلنا بالاكسجين يأخذه من الماء ونحن نأخذه من الهواء .



انواع الشعاب المرجانية

والمرجان موجود فى معظم بحار العالم ، ولكن النوع الذى يبنى الجزر والحواجز العظيمة لا يعيش الا فى البحار الاستوائية قليلة العمق ، حيث يتوافر دفء الماء وصفاؤه ، ومن صفات المرجان انه يموت اذا انكشف عنه الماء أو غطته رواسب كطمى الانهار . والمرجان نوعان : نوع صلب وهو هذا ، ونوع لين يكاد يشبه العشب البحرى وله ملمس كالجلد ، ثم ان النوع الصلب على اشكال ، فنه الريشى اى ذو الشعب ، وهو أكثرها انتشارا واجملها منظرا ، ومنه الوان كثيرة بديعة كالارجوانى والاصفر والاخضر والاحمر ، ومن اشكاله ايضا النوع المخى وهو على هيئة تلافيف المخ ، والنوع الطبقى وهو على هيئة اطباق صغيرة ، والنوع الخيمى وهو على هيئة عيش الغراب .

ثم إن الدكتور كرسلاند بعد أن خطا بضع خطوات ونحن نتبعه وقف متفرسا وقال انظروا فى الماء : انظروا الى هذه الاسماك الصغيرة التى تعيش بين الشعب ، أليست جميلة حقا ؟ ان وصفها يحتاج الى بلاغة أكبر الكتاب وخيال اعظم الشعراء وريشة أمهر المصورين ـ انظروا الى حركاتها الرشيقة وهى تتسلل بين الشعب ـ فهذه إسماك لا يزيد طولها على سنتيمتر ولكنها ذات الوان بديعة براقة بين أزرق وأخضر وبرتقالى وأصفر وأحمر وأرجوانى وأسمر ، وبعضها نصف جسمه بلون والنصف الآخر بلون ، وبعضها مخطط بخطوط واضحة محدودة : ازرق وابيض ، أو أصفر وأسود ، وبعضها جسمه رفيع وبعضها جسمه مبطط يكاد ان يكون شفافا

ثم انظروا الى هذه المحارة العظيمة ، انها من النوع ذوى المصراعين ، انها كذلك تعيش مختبئة هكذا بين المرجان ـ ثم ان السماكين يخشونها ويحاذرون أن تزل قدم فيسقط أحدهم بين فكيها ، فاذا انطبق المصرعان على القدم فانه لا يخرج منهما الا مهصورا مهشما .

ثم انظروا الى هذا « السجق » الاسود والابيض ، انه كذلك من سكان هذه المنطقة ، والصيادون يسمونه خيار البحر ، وهو حيوان وديع لا يؤذى أحداً ، ثم انه يكاد يكون عديم الحركة ، فهو لا يسعى للقوت بل يكتفى بدفع ماء البحر مع الرمل الى جهازه الهضمى وهو عبارة عن قناة بطول جسمه ، فيدخل الماء من طرف ويخرج من الطرف الآخر ، والحيوان يكفيه ما فى هذا الماء والرمل من مواد عضوية وحيوانات صغيرة لتكون غذاء له

ثم انظروا الى هذه السمكة التى تحاول مسرعة أن تختفى منا بين المرجان الاخضر — إنها « الدرمة » أو السمك البالونى — ان لونها يكاد يكون كلون البيئة التى تعيش فيها : — ظهر أخضر وبطن أبيض — ثم انظروا الى رأسها الكبير ، وخصوصا الفم ، الا ترون أن لها منقاراً كمنقار الببغاء — ثم إنه أمر (خيرالله) كبير صيادى المحطة باقتناصها ، فبعد دقائق كان يسحبها من الماء ، ولم تكد تخرج منه حتى انتفخ جسمها وصار كالكرة الكبيرة (البالون) ثم قال هكذا طبيعتها كلما اخرجت من الماء ، فهذا هواء الجو تضغطه فى جسمها فاذا عادت الى الماء زفرته فيتقلص جسمها كما كان — ثم قال لا تلمسوها بايديكم لأن جسمها مغطى بأهداب بيضاء تفرز مادة لاذعة تحدث فى اليد تخديراً

ثم إنه انطلق ونحن فى أثره حتى أقبل على بقعة غنية بأنواع المرجان فقال هنا تعيش حيوانات بحرية كثيرة ، والجهاد للحياة بينها على أشده ، فهى لا تنفك فى هجوم ودفاع — إن الغذاء هنا وافر ولكن المنطقة مفتوحة للبحر فلا يجد فيها السمك الضعيف الحماية الكافية لصد هجمات السمك القوى فهو يعمد الى الخديعة والحيلة ـ انظروا الى هذا الثقب ، إن حيوانا لاشك أنه مختبئ هنا — ثم إنه أدخل فى الثقب طرف عصاه فقفز منه شئ متحرك لم نميز فيه شيئا — فمد الدكتور يده الى الماء بخفة وحذر وانتشله منه فكانت دهشتنا كبيرة اذ رأينا سرطانا بحريا (أبو جلمبو) فى حجم الليمونة قد نما على ظهره عشب مائى غطى منه الرأس والارجل حتى أنه اذا وقف على الارض أو تعلق بالشعب أو اختبأ فى ثقب فانك لا تفرق بينه وبين قطعة من العشب الا بعد جهد وانعام نظر

ثم انه تقدم ونحن وراءه وقال : فى كل خطوة مخلوق عجيب ، وفى كل شبر كائن غريب ، ولا حصر لعجائب مخلوقاته . فتبارك الله العظيم !

ثم ركبنا اللنش فعاد الى المحطة وقد انتصف النهار .

وفى المقال التالى سنتكلم إن شاء الله عن منابع الزيت ومناجم الفوسفات .

الدمرداش محمد

العالم المسرحى والسينمائى

فن التنكر MAKE - UP

لناقد « الرسالة » الفنى

فن التنكر Make - up أو الماكياج ، من أدق الفنون التى تتطلب من الممثل مهارة خاصة ، اوخبرة واسعة ، ودراية تامة ، ذلك لان الممثل يعتمد على تعبيرات وجهه ومايكون لها من التأثير فى نفس المتفرج فى ابراز الشخصية التى يمثلها ، وفى تلوين بعض المشاهد بلون العاطفة التى تناسبها من الغضب او الرضا ، اليأس أو الرجاء ، الحب او البغض ، الى غير ذلك من شتى الانفعالات النفسانية التى تختلج فى القلب ، ويلجأ الممثل فى أظهارها الى رنة الصوت وطبيعة اللهجة التى يتحدث بها ، وبما يأتيه من الحركة المناسبة ، هادئة كانت ام عنيفة ، ثم بما يلوح على وجهه من الملامح التى تعبر عن هذه العاطفة ، ومن هذا المجموع ، من الصوت والحركة وملامح الوجه ، يستطيع الممثل ان يحدث فى نفس المتفرج الاثر الذى يريد، وينقل اليه إحساس الشخصية التى يحيا فى تضاعيفها على المسرح .

على ان الوجه وماينطبع عليه من تعبيرات شتى ، ومايلوح على صفحته مما يترجم عن خلجات النفس وعواطف القلب ، أكبر معوان للممثل فى فنه . والممثل القدير قد يعطيك بنظرة ساهمة ، اولمحة خاطفة ، مالاتؤديه عشرات الجمل ، بل قد يشرح الممثل المؤلف والقصة كلها بهذه النظرة ، أو هذه الملامح التى تنطبع على صفحة وجهه فى مشهد من مشاهد القصة .

أذكر أنى يوم قرأت « شمشون » للمؤلف الفرنسى المعروف هنرى برنشتين ، استكثرت على الزوج ان يضحى ثروته ومركزه الذى ناله بكده وجده ؛ وكان حمالا فأصبح من كبار رجال المال والنفوذ ؛ استكثرت عليه ان يضحى كل جهود حياته فى سبيل الانتقام من عشيق زوجته . وطويت الرواية وانا أقول إن برنشتين لا يزال يجعل العبث المسرحى غرضا من اغراضه ، وشاهدت هذه القصة بعد ذلك من فرقة فرنسية على أحد مسارح القاهرة ، ورأيت الممثل الذى قام بدور الزوج فى المشهد الرائع الذى يتضمن فى تضاعيفه القصة كلها ؛ تراه فى هذا الموقف بين اثنتين : اما أن يكف عن طريقته فى الانتقام من عشيق امرأته ، واما أن تجرفه العاصفة معه فيسقطان الى الهاوية معا ، وقف الزوج مشدوها لا يتحرك ، يتنابه الف عامل وتمر بقلبه الف عاطفة ، وفجأة ينظر الى غرفة داخلية كان قد احتبس فيها خصمه ، ينظر الى الغرفة فتلمح فى نظرته وترى على وجهه من معانى الحقد والثأر والغضب ما يفزعك ، ثم يصدر أمره الى أحد رجاله بأن يمضى الى النهاية ، النهاية التى فيها الخراب والدمار ، وفى هذه النظرة الحاقدة ، وفى هذه الملامح التى غمرت الوجه لحظة أو بعض لحظة ، ملامح الغضب الكمين والرغبة فى الثأر والانتقام الفظيع برر الممثل ما أخذه الناقد على المؤلف ، بل شرح الممثل المؤلف وأعان المتفرج على أن يفهم كيف ارتضى الزوج أن يهدم حياته كلها فى سبيل هذا الانتقام .

وأنت إذ تمضى فى الطريق ترى عشرات الوجوه ، بل المئات بعضها سمح طلق تحس الراحة والطمأنينة بالتطلع اليه ، وبعضها قاس عنيف تنفر منه ، بعضها تحس أن وراءه طبيعة طيبة وقلبا كريما ؛ وبعضها الآخر تحس أن وراءه خبثا كمينا وشرا مستطيرا ، وقد ترى انسانا لاتعرفه ولم تحتك به فى عمل أو حديث ، ولا صلة لك به، ثم تهمس فى اذن صديقك انظر ! هذا رجل أبله ، أو هذا رجل طيب ، أو هذا رجل شرير ، إلى غير ذلك من المعانى التى توحيها اليك ملامح الوجه الذى رأيته .

ومن العبارات المألوفة أن تقول عن شخص معين فى حديث يدور حوله إن

وجها يدل على الطيبة وكرم الاخلاق ، وأن ملامح وجهه تدل على انه شرير خبيث ولن تجد لغة من اللغات تخلو من هذه العبارات التي تتردد على الالسنة والاقلام ، فتمر بالسمع او يقع عليها النظر وكأنها بدهية لا نقاش فيها ولا جدال ، وفي العربية من مثل هذا شيء كثير ، وفي شعرها ونثرها قديمه وحديثه مطولات في وصف الوجوه على مختلف ماتنبئ عنه ملامحها وقسماتها ، وهذا هو الشاعر العربي لم ينس ان يستهل القول في مديح من أراد وصفهم بانهم (بيض الوجوه . . .) . وهذا الحطيئة لما أراد ان يهجو نفسه ، هجا وجهه !!

ولسنا نمضي في هــذا الى النهاية ، فاننا لا نكتب بحثا في الادب ، وكل ما أردناه من هذا الاستطراد ان نقول ان لوجه المرء وما يرتكز عليه من ملامح ، او يمر عليه من تعبيرات ، اهمية كبيرة في اعطاء الناظر فكرة خاصة عن صاحبه ، سيئة كانت ام حسنة ، سواء أكانت هذه الفكرة عن طبيعة الشخصية ذاتها في سائر اطوارها ، ام عنها في ظرف خاص ووقت معين ، ومن هنا كانت هذه الاهمية الكبرى التي يعلقها فن التمثيل على قوة تعبير الممثل بوجهه ، ولهذا كان لفن التنكر خطره الذي لا ينكر ، فاذا أجاده الممثل اعانه الى مدى كبير على خلق شخصية دوره خلقا صحيحا مستقيما مع طبيعة الدور ، واعانه على اعطاء المتفرج فكرة حقيقة عن الشخصية التي يقوم بها كما أرادها المؤلف ، وكما تفرضها طبيعة القصة ، واذا اخطأ الممثل في تنكره المسرحي ولم يعط الوجه — مستعينا بما لديه من الأدهنة والالوان وغيرها من ادوات التنكر المعروفة — الصورة التي يجب أن يكــون عليها ، فقد يؤدي به ذلك الى الفشل المحتوم والسقوط الذي لا مفر منه ، بل هذه هي النتيجة التي لا محيص عنها ؛ وضع على وجه اقدر الممثلين واكفئهم قناعا كثيفا واخرجه امام الجمهور المتفرج فلن يرى فيه الادمية تتحرك وجثة تروح وتجيء ، بعد أن حجبت منبع الحياة ، ومرآة القلب والشعور .

وفن التنكر من أدق الفنون وأشقها ، يتطلب خبرة واسعة ودراية كبيرة ، حتى ليضطر الممثل الذي يريد أن يحيط به احاطة تامة أن يدرس تشريح الوجه من الوجهة الطبية ويلم بكل التفاصيل التي تتعلق بهذه الناحية الماما كاملا . وعليه ان يدرس أيضا الى جانب هذا مختلف التغيرات التي تطرأ على وجه الانسان في شتى أطوار حياته وكلما تقدمت به السن . فوجه ابن العشرين ليس كوجه ابن الاربعين أو الستين ، كما أن علائم المرض والصحة تترك أثرها على الوجه ، وهناك بعض الامراض تترك آثارا مادية تدل عليها كالجدري مثلا .

والى اختلاف السن ، هناك اختلاف البيئة والمركز الاجتماعي والمعروف أن لكل حرفة طابعا خاصا يميز صاحبها ، ولا تخطئ النظرة الدقيقة الخبيرة هذا الطابع على الوجه ، وما أظن أن من العسير أن تميز الفلاح من بين المئات ولاول نظرة وفي مقدورك أن تشير الى احد المارة فتقول انه عامل ، وتكون مصيبا في قولك صادقا في فراستك ، كما تستطيع ان تحكم على معين أنه من الدهماء أو من أوساط الناس أو أثريائهم من ملامح وجهه ، ومن العبارات المألوفة قولنا « هذا الشخص تلوح على وجهه آثار النعمة »

والتعاسة والشقاء يتركان على الوجه آثارا لا تخطئها العين في تلك التجاعيد والغضون ومسحة الألم التي تنبئ عما وراءها من كدر العيش ومرارة الحياة ، كما أن السعادة والهناء يخلفان هذه البسطة في الملامح والسماحة في تعبيرات الوجه ، تتوجها كلها الابتسامة المشرقة التي تدل على راحة البال وخلو الفؤاد مما يشغله من اكدار الدنيا .

وانت تعرف بعد كل هذا أن للاقليم تأثيره في ملامح الانسان ، بل قد تتعدد السحن والوجوه في الاقليم الواحد والوطن الواحد ، فالاوروبي غير الاسيوي ؛ وفي اوروبا الانجليزي غير الفرنسي ، والالماني غير الايطالي ، كما أن في آسيا الصيني والياباني غير الهندي والتركي والسوري ، وفي افريقيا المصري غير السوداني وهكذا .

كذلك يختلف أبناء الوطن الواحد ، فالقاهري غير الصعيدي أو الاسكندري مثلا ، وقس على ذلك مئات الفروق التي تجدها في هذه الدنيا العريضة ، والممثل بحكم مهنته معرض لأن يقوم بتمثيل شخصية من هذه الشخصيات المنتشرة على رقعة الارض ، وقد يكون من المستحيل أن تطلب منه أن يدرس كل هذه الشخصيات الدراسة التفصيلية التي تعينه على تنكره وتكييف ملامح وجهه ، بما يعطي الشخصية الطابع الاصيل لها ، ولكن من الميسور لديه أن يدرس الشخصية التي سيمثلها الدراسة التي تؤهله لاعطاء المشاهد صورة منها ، مستعينا على ذلك بأدوات التنكر التي تحت يده .

النقد

الينبوع

للدكتور أحمد زكى أبو شادى

من جد الحياة أن نضحك . ومن جد الحياة أن نعمل ونشقى ، وبين الضحك والعمل ، تنساب الأيام وتتراكم الاعوام ، ويفنى قديم ويعيش جديد ، وينقضى قوم وينشأ آخرون .

ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه فى وقت ضحكه ، ومن جد الحياة أن يرسم الانسان نفسه فى وقت عمله ، وأن يصور خلجات قلبه القلب ، وجموح نفسه الوثابة ، ومطامع روحه الهائجة ، أو نمثل حياتنا التى هى مسرح نضال بين عواطفنا وعقولنا .

فنحن أمام عمل لذيذ مفرح ، تتمثل فيه الماضى ، ونرسم صورته الحائلة بصورة لماعة رائعة ، ونخلد فيه ذلك الشبح الباهت بطيف براق فاتن . فيه سحر الحياة وفتونها ، وفيه غموضها وأسرارها ، وفيه جمالها وبهاؤها ، وفيه موسيقاها المتزنة ، وأنغامها المتناسقة . اننا نخلق من القتام نوراً ، ومن الموات حياة ، أو ننتج نتاجا فنيا .

اننا نشيد هذه العواطف والاحساسات ، التى أوحت بها إلينا الحياة ، والتى صبغها الأسى بلونه الأحمر الدامى ، أو أيقظها الأمل بعطره وشذاه ، أو حركها الأباء والشمم ، والغيظ والشفقة ، والغضب والرحمة ، تلك العواطف التى تتلاعب بعقولنا وأرواحنا ، والتى تتحدى دائرة ، سمها إن شئت حياة . وإن شئت لحركة الكون .

والفنان إنما خلق ليسجل هذا الشعور الذى يصور وحدة الكون ، ولا يستطيع تسجيلها إلا إذا أحس بالكون ذاته ، ولا يستطيع أن يحس بالكون الا إذا كان ذا نفس صافية ، تنطبع عليها المشاهد ، وتظهر على صفحتها الرؤى ، وقد تشابك بعضها ببعض . وقد ارتبطت بروح واحد هو روح التناسب . فهى كالنغمة الموسيقية ، مترابطة مؤتلفة متزنة .

وعمل الفنان فى هذا المجال . هو أن يقف أمام دولاب الزمن الذى يدعس كل شىء فينتشل من تحته رؤى ومشاهد . وعواطف وإحساسات ، ونوعا من الشعور المبهم الغامض . ونوعا من الادراك الناقص . أجدر بها أن تبقى لانها تمثلنا . لأنها قريبة منا شديدة الصلة بنا . اننا نحتفظ بها لنبقى نحن . فهى تخلدنا ونحن نخلدها فنشعر بها فى أدمغتنا ، ثم نصورها بألفاظنا وكلماتنا . فنحس أنها قد أتت بسامة فتانة . ونحس بنورها المشرق على نفوسنا فيبعث مواتها . ويحيى رميمها ، وقد لا نرسمها بالكلمات ، فان اللغات أضيق من أن تشرحها فى النفوس ، قد تستعين بالرسم أو النقش أو الموسيقى أو غير ذلك ، فعملنا فى سبيل احيائها ورسمها هو الفن وجزاؤنا منها هو الخلود

فهل الفن الذى يتنفس عنه رجال الفنون فى بلادنا من هذا القبيل ؟

وهل لى أن أقول وأسأل عن الشعر الذى يفيض من قرائح شعراء الزمن أيكون تلك الاداة المادية التى تصور تلك الصور الفتانة التى تمتلك علينا تفكيرنا . وتستبد بنفوسنا ؛ أو تلك العواطف المتبدلة المتغيرة التى تستنفد حياتنا ؛

أيكون تلك الأداة المادية التى لها موسيقاها وتوقيعها ، والتى نسعى لأن نظهر لعيوننا نوعا من الشعور الغامض والأدراك الناقص ، لا يدركه الا القلب الشعرى الذى يستمد قوته من الإلهام والعلم

من هذا يستطيع المرء أن يكون فكرة عامة عن دقة هذا الفن ، فن التنكر ، وعن العناية التى يتطلبها العمل المسرحى من الممثل حتى يستطيع أن يصور على وجهه الوجه الآخر ، وجه الشخصية التى يتقمصها ويؤديها أمام النظارة . ونستطيع بعد هذا أن نتحدث عن فن التنكر من الناحية الفنية العملية مستعينين فى ذلك ببعض الصور والرسوم التى تشرح ما نقول ؟

محمد على حماد

والعقل والخيال ، كأنه ادراك شامل لما تحويه لحظة من لحظات النعيم أو الشقاء ، وبأرأز هذا الشعور الغامض وهذا الادراك الناقص ، فى صورة واضحة ناطقة ، تامة كاملة ، فيها حياة وفيها حركة

واذا كان الشعر العصرى كما يقول الدكتور ابو شادى فى مقدمة ينبوعه (هو لسان حياة العصر ، والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضى ، وذات تطلع الى المستقبل ، فليس غريبا فى الثورة الروحية والفكرية الحاضرة أن يأتى هذا الشعر مزيجا منوعا ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم الأدبى بأسره) ويضرب على ذلك المثل بالشاعر الألمانى العظيم هين Heinriet Heine ، أنا لا نجاريه فى قوله ولا نجاريه فى استشهاده بالشاعر الألمانى العظيم ، فبينما يشرح ذلك الألمانى النبيل عواطفه المتدفقة فى نفسه ، او يشرح نفسه الواسعة الفياضة ، بأنواع من النظم ، نرى الدكتور ، لا يرتفع فى شعره عن أن ينظم فى بعض مناسبات خاصة . وفرق كبير جداً بين هذا الشعر الذى يكاد يكون ، شعرا صحفيا ، وبين شعر هين المختلف المتناسق ، الذى نرى اختلافه فى اغراضه وسعتها ، والذى تراه يتناسق فى الصفات الأولى ، التى تتصف بها نفس ذلك الشاعر العبقرى ، اما أن يجد الدكتور احمد زكى ابو شادى حجة على الناس فى مناسباته التى صاغ كل شعره من أجلها فهذه حجة غير واردة كما يقول رجال القانون فى بلادنا ، ولا أدرى أن كانوا يقولون كذلك فى مصر

وانا عالم كل العلم بان أصواتى تسد لاتفيد مع الدكتور الشاعر ، لانه قد قطع على الطريق فى مقدمة ديوانه فقال (واذا كنت أؤمن إيمانا عميقا ، بأن الفنون الجميلة من أقوى عوامل السلام ورسول الانسانية المشتركة . فلست اعنى بذلك ان تقديرها شامل فى الظروف الحاضرة . فكم تتباين الاذواق ، وعلى حد تعبير (بردنز لاهو يرمان) ، لا يرتقب أن يجيد عزف موسيقى بتهوفن اجادة المتذوق المعجب بها ، من ليست لديه اثارة من عواطف بتهوفن ، وكذلك شأن الشعر وغيره من الفنون الجميلة)

والاستاذ ابو شادى يشير الى انه (ليس محتوما على غير مريديها — أى أشعاره — ان يطلعوا عليها حتى أكون معرضا لمؤاخذتهم اياى)

والشاعر يحدث الناس فى صراحة ما بعدها صراحة فيقول (نوازع وجدانية ، صوفية تحبب ذلك الى — أى نشر اشعاره — كأنما انا مكلف برسالة أؤديها)

وأبو شادى يقول ، ان الشاعر ككل فنان يعمل على تخليد صور الحياة الفانية ، وذكرياتها فى النسق الذى يستطيع به استرجاعها لروحه العالمية ،

وانا متفق مع الدكتور فى هذه الفكرة الى أبعد حد ، مؤمن بالنوازع الوجدانية الصوفية التى تحفز الشاعر العبقرى على أذاعة بنات شعره ، ولكننى اكاد اكون كافراً بفكرته الأخرى فكرة النقد واطلاع الناس على الشعر .

ان هذا الشعر الذى نشره صاحبه قد خرج من يده وأصبح ملكا للناس ، لقد تنازل لهم الشاعر عنه ، فسيقرأون وسيفهمون ، وقد لا يفهمون كثيراً ، وسيؤخذون وينقدون ، فما دخل الشاعر هنا ، لقد صار هذا الكلام فى حكم التاريخ وسيتكلم الناس عنه بما يرضى صاحبه وبما يكره

وأنا باسم هذا الحق المكتسب قد استعرضت الكتاب ، ووقفت على مقدمته ، وبعد ان قرأت الينبوع من الجلد الى الجلد بما فيه من مقدمة وتصدير وألمامة ، ودراسات مختلفة . وبما فيه من شعر أختلفت الوانه ، وتباينت أمزجته ، . وبعد ان انعمت النظر بما فيه من صور جميلة ملونة تستهوى كثيرا من الناس ، وأنعمت النظر مرة أخرى فى عنوان الكتاب ، وصورته الفنية التى تزين غلافه . آمنت بفكرة واحدة ، جسمتها فى ذهنى قراءة ديوان ابى شادى الجديد .

آمنت ان من النادر ان ينتج الانسان كما يتصور الانتاج ، وأخذت أطبق هذا الحدس على نفسى . هل الشعر الذى انظم عقوده ، يوافق ما أريد ان أفهم من الشعر ، ثم رجعت اسأل مرة أخرى ، ألا يخطىء الانسان فى تصوير الصورة التى تقوم فى ذهنه ، ومن ثم سألت نفسى ، هل الشعر الذى يفيض من ينبوع ابى شادى يشبه فى شىء الشعر الذى يشير اليه فى مقدمته ؟؟

وأنا حائر بين الفكرتين . اوانا أومن بأن لابى شادى أكثر من شخصية واحدة فى الشعر ، كما أن له أكثر من شخصية فى مناحى الحياة ، فقد يكون من الوجهة الشعرية ، نظرياً وعملياً ، وعمله لا يتفق مع نظرياته ، كما أنه فى الاعمال لا يتمسك بمهنة او فكرة واحدة ، فهو طبيعى وشاعر يحرر وينشر ويقرأ ويطالع ويهتم بالوظيفة والنظم وتربية الحيوان ، وأكاد أتمثله بصورته الرمزية ، والجاهرة أمامه والمبضع فى يد والريشة فى أخرى والآلة الموسيقية الى جانبه ، وفتاة الالهام تضوع عليه ، والنحل من حوله وله أزيز وطنين ،

ويتمثل أمامي وعيناه في الافق البعيد واحدة تنظر الى الشرق ولا ترتفع عن الشرق . وواحدة في الغرب تذهب بنظرها عنه ثم تعود الية كأنها أبصرت ما يريبها ، ولسانه يردد بين هذه النظرات الحائرة شعره المقفى الموزون ، هو ناظر الى آ بللوخيا ، وشاخص ببصره الى عمرو بن كلثوم يردد معه اقوالا تشبه قوله :

فى قبل التفرق ياظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

وانا شاك فى أن يكون أبو شادى مجدداً ملتوى التجديد ، لقد وقف على أدب الغرب ماى ذلك شك . وعرف من أدب الغرب كل غث وسمين ، فما له قد ضيق على نفسه كل هذا التضييق وهو يحاول بين هذا العسر وذاك ، أن يضع لنفسه مزاجا خاصاً . يتمثل لك فتكاد تنفر منه . لضعفه فى التعبير ، وتقصيره فى التصوير . ثم هو لاشىء من وجهة التفكير .

أقرأ معى الينبوع وهى قطعة من الديوان سمى الديوان باسمها يتمثلها فى صورة (سكس ايسل) اقرأها جملة . فاذا ترى ... أنا لا أرى فيها نظرة صوفية ، ولا أفهم منها فكرة فلسفية عميقة ، ، هى فكرة عادية بسيطة ، من الفكر التى يسميها (بول فاليرى) فكرة غير شعرية ، . وهى بعد هذا كله ، شهوانية مفرطة فى الشهوة ، تتمثل فى بطن أملس ، إنتصب فوقه جبلان وفى أسفله واد عميق ، ربما كانت الفكرة طبية ، ربما كانت تهم علماء الغريزة ، ربما كانت تهم رجال النسل ، ولكن المادة الصرف ، المادة المنتجة الملموسة ، المادة التى تشبع شهوة الجسم ، أو التى تنتج الجسم ، المادة التى لاروح فيها . هذه المادة النجسة التى ترى فى كثير من النساء ، قد لاتعجب ذا النفس الشاعرة ، وقد لاتروق فى عينيه كثيرا .

وأعوذ بالله أن أكون كمن حاول عزف مقطوعة لبتهوفن فما استطاع لأنه لم يتأثر بالمؤثرات التى دفعت بتهوفن الى تاليف قطعته . او ان يكون الدكتور كذلك المصور الذى أتيت اليه لير سمنى فشوهنى ، فلما عاتبته فى ذلك . قال هذا تصوير فى Astistujue وأنا أعوذ بالله من أن يكون كلامى لغواً من ناشىء أرعن ، يقلق على الدكتور صفاء نفسه . وما عرفته وغيره من اخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك . ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع .

وأنا بعد هذا الذى قدمت أسأل نفسى . اذا كنت على اتفاق والدكتور من حيث النظرة الى الشعر كفن من الفنون العالية ، أفلا يجدر بى أن أتفق معه على اللغة التى يدون بها هذا الشعر ؟ ألا يصدق معى الدكتور أن العلة هى اللغة التى يشتكى منها الشعراء ، فهى التى تؤلمهم عند التعبير ، وتضيق عنهم أو يضيقون بها عند التصوير ، فيداورونها ويتلاعبون بها حتى تأتى طيعة راضية لا تحس فيها ضعفاً ؛ وهل يرى الدكتور معى أن لغته فى شعره ، أبسط من أن تسمى لغة شعرية ، بل أكاد أحس بضعفها فى كل بيت من أبيات الينبوع التى تبلغ النى بيت ونيفا

ألتمس من الدكتور ، أن يقرأ معى قطعة أخرى او قطعتين . وقعت يدى الآن عليهما من غير تفتيش أو تنقيب . الأولى دنيال فى جب الأسود . اقرأ هذا البيت وافهم منه شيئا :

جعلوا المليك محرماً لنوى المليك دعا المسود

أظن أن فى هذا الكلام ركاكة وتعقيدا . وأظن أن الزمن ليس زمن عبد القاهر الجرجانى . لنعيد النظر فى بيت الشعر والفاظه ، ولكننا نقول : ان ضعف هذا البيت وغيره من ابيات هذه القطعة أظهر من أن يظهر

بل ما تقول فى هذا البيت الهزيل من القطعة ذاتها . وكثير على شا كلته ؟

أنا فى أمان يامليك بفضل ربى من ملك

اندرى أية مناسبة بين حكمة من ملك ومليك . ماالذى هزها . فأتت مختالة تضع نفسها فى آخر البيت لتكمل القافية

أو قوله فى قصيدة العودة صفحة (٣٠)

وقفنا فى جو اراليم سكرى كسكر الناظرين الى الرحيق

نرى فى البر الوان التناجى وفى البحر المشارف والعميق

البحر المشارف والعميق ، وسكر الناظرين الى الرحيق ، لا يكملها الا قوله

وأبنا أوبة المحزون لكن بنا طرب من الادب الحقيق

أو قوله :

وتمضى الغانيات على تثن تثنى النور فى الجو الصفيق

الحق أن الجو الصفيق والادب الحقيق . والبحر المشارف والعميق والرحيق اذا زف بعضها الى بعض خرج شىء ليس فى الحسبان هو قصيدة العودة

أنا لا أريد ان أذهب الى كثير من شعر الديوان ، فبعض يجزى عن بعض ، بل لا أريد أن أطيل الحوار فى قضية يراها الدكتور قضية ذوق ، وانا اراها قضية أدبية عربية ، تهم الناطقين بالضاد جميعا ، فما كانت الكلمات تتلاعب بالشاعر ، فتسخره ولا يسخرها ، وأنا أومن ايمانا واثقا أن كلمات الشعر يجب أن تكون كالكلام المنزل ، لو رفعت كلمة من بيت فلن تجد فى اللغة بأجمعها كلمة تحل مكانها وتؤدى المعنى الذى كانت تؤديه الاولى ، بل انا أفرق كثيراً من ان توضع الكلمة فى غير موضعها فيبخس حقها ، ويبخس المعنى حقه بل ما رأى الدكتور فى قرط جميل من الماس الفاخر تعلقه أنثى فى اسفل ذقنها ؟ انها تشوه جمالها ، ويضيع قدر الماس الثمين ، فالدكتور يسوق الكلام فى مواضعه وفى غير مواضعه ، بل ما يلجئه الى كثرة الانتاج هذه ، وللقليل الناضج خير من الكثير الفج ، وأنا أرجو أن أكون مخلصاً كل الاخلاص فى قولى ، جريئاً كل الجرأة فى تعبيرى ، فقد كفى هـــذا التبلبل فى الادب العربى ، ينهض ولكن ليقعد ، ويسير ولكن الى الوراء ، ينتج الأديب او الشاعر ، ويظن انه فوق النقد ، ولو عرف أن النقد سيتناوله فى عنف وفى قسوة ما أنتج انتاجا كهذا ، ولحاول ان يكون مدققاً أكثر مما دقق .

حلب (المرتينى)

كتاب :

توفيق الحكيم

الجـــديد

شـــهرزاد

« انا كل ما كان ، كل ما يكون ، كل ما سيكون قناعى لم يكشفه بعد إنسان »

ثمن النسخة ١٠ قروش

يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد على بمصر

كرستينا ملكة السويد

بقية المنشور على صفحة ٥٦٤

فكانوا يرجون — ويلحون فى الرجاء — أن تتخذ لها شريكا فى حياتها . وكان حديث الزواج هذا أبغض الاشياء اليها ، ولم يكن نفورها من الزواج عن تعفف ، بل لانها كانت ترى فى الزواج أغلالا تكبح جماحها ، وتثنى من عنانها ، وهى التى تريد أن تبقى حرة طليقة . فلما اشتد الحاح رجال القصر عليها . طلبت من البرلمان أن يكون ابن عمها شارل جستاف هو وارث العرش من بعدها .

* * *

وفى عام ١٦٥٤ — ولم تكد كرستينا أن تبلغ الثامنة والعشرين تنفس شعبها الصعداء ، لأن مليكتهم قد اعتزلت الملك وغادرت البلاد ، وليس من السهل أن نقدر الدافع الاكبر الذى دفعها الى سلوك هذا السبيل ، فقد كانت هنالك بواعث شتى تعتلج فى صدرها ، فمن شعب مضطرب ثائر على تبذير مليكته ، الى بغض شديد لتلك التكاليف المضنية التى يستلزمها الاضطلاع بالحكم ، الى رغبة شديدة كانت تدفعها لان تعيش فى جنوب اوروبا ، وأن تعتنق الدين الكاثوليكى . ولعل أقوى دافع لها الى اعتزال الملك أنها كانت تريد أن تبهر ملوك العالم حين يرون مليكة فى ريعان الشباب تنزع عن جبينها التاج وتلقى به فى ازدراء واحتقار .

وقد تم لها ما ارادت ، فغادرت وطنها ، ومعها ثروة حسنة لم تلبث أن أتت عليها ، واعتنقت دين الكاثوليك . واتخذت لها فى روما قصرا عاشت فيه زمنا عيش الاسراف الذى لا يعرف حدا . وزارت فرنسا مرتين ، وفى المرة الثانية أدهشت وأغضبت ولاة الامور حين أمرت رجالها بقتل عشيقها مونالديسكى . فاضطروها الى مغادرة فرنسا والعودة الى روما .

لقد كانت المقادير أرحم بكريستينا والطف ، لو أنها وافتها منيتها بعد أن نزلت روما ، وبعد أن نفدت ثروتها ، لكن الاجل قد تراخى بها حتى بلغت الستين ، وكان الشطر الاخير من حياتها مفعما بالألم والشقاء . وعادت الى وطنها حين بلغت الاربعين تحاول عبثا أن تسترد الملك فلم تلق غير الاعراض والنفور . ورجعت الى روما حيث قضت بقية العمر ، وقد نسيها العالم وأهملها الناس ، وظلت تعيش عيشة الضنك والضيق ، وجل رزقها مما يجود به عليها البابا من الهبات حين امتنعت عنها الموارد وتقطعت بها الأسباب .

محمد عوض محمد